20 me année No 999

Le Caire 25 — 8 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ ذى الحجة سنة ١٣٧١ — ٢٥ أغسطس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

أدب الانحلال

للأستاذ سيد قطب

« كان مقررا أن يذاع هذا الحديث من محطة الإذاعة المصرية فى الساعة الثامنة من مساء اليوم ١٠ من شهر أغسطس ، ولكن جو المحطة لم يتطهر بعد الى الحد الذى يسمح باذاعة مثل هذا الحديث ! ان الكثيرين هناك يحسبون أنفسهم مقصودين بوصف العبيد . كما أن الحماية ماتزال مفروضة على الأصوات الدنسة التى تذيع على الناس : « الدنيا سيجارة وكاس » ! »

أدب الانحلال هو فى الغالب أدب العبيد . عبيد الطغيان ، أو عبيد الشهوات . وحين تستذل النفس البشرية لطاغية من طغاة الأرض ، أو لشهوة من شهوات الجسد ؛ فإنها تعجز عن التحليق فى جو الحرية الطليق ، وتلصق بتراب الأرض ، وترتكس فى وحل المستنقع : مستنقع الشهوة ، أو مستنقع العبودية سواء

فأدب الانحلال على هذا هو أدب العبودية ، وهو لا يروج إلا حين تفرغ الشعوب من الرغبة أو من القدرة على الكفاح فى سبيل مثل أعلى . مثل أرفع من شهوة الجسد ، وأعلى من تمليق الطغيان ، لتحقيق مطمع صغير ، أو مطمح حقير .. أى عندما تصبح « الدنيا سيجارة وكاس » أو تصبح الحظوة عند الطغاة أمنية المتمنى فى دنيا الناس !

عندئذ يظهر فى الأمة كتاب ، ويظهر فى الأمة شعراء ، ويظهر فى الأمة فنانون .. يلبون هذا الفراغ من المثل العليا ، ويمثلون هذا الارتكاس فى حمأة الشهوة أو حمأة العبودية . وعندئذ يستمع الناس إلى هؤلاء الكتاب والشعراء والفنانين ؛ لأنهم يصورون مشاعرهم ، ويصورون أحلامهم ، ويزينون لهم الراحة من الكفاح ، والاطمئنان إلى الدعة ، والإخلاد إلى حياة الفراغ والترهل والانحلال

إن هؤلاء الكتاب والشعراء والفنانين ليقومون حينئذ بمهمة تخدير الشعوب وتنويمها . سواء سبحوا بحمد الطغاة ، أوسبحوا بحمد الشهوات . فأما حين يسبحون بحمد الطغاة فهم يزيفون الواقع على الشعوب ، ويخفون عنها شناعة الطغيان وقبحه ، ويصدونها عن الثورة عليه أو الوقوف فى وجهه .. وأما حين يسبحون بحمد الشهوات ، فهم يخدرون مشاعر الشعوب ، ويستنفدون طاقتها فى الرجس والدنس ، ويدغدغون غرائزها فتظل مشغولة بهذه الدغدغة ، لا تفكر فى شأن عام ، ولا تحس بظلم واقع ، ولا تنتفض فى وجه طاغية لتناديه : مكانك . فنحن هنا ! فالشعب المستغرق فى ذلك الخدر اللذيذ ليس هنا ، وليس كذلك هناك !

* * *

والتاريخ يشهد أن الطغيان يملى دائما لهذا الصنف من الكتاب والشعراء والفنانين ؛ ويهيئ لهم الوسائل ، ويخلق لهم

الجو الذي يسمح لهم بالعمل . جو الفراغ والترف والانحلال

عندما أراد الأمويون أن يأمنوا أهل الحجاز ، وأن يستبدوا دونهم بالملك ، وأن ينحوهم عن الحياة العامة ، غمروا سادتهم وأشرافهم بالمال والإقطاعيات والهبات ؛ وجلبوا إليهم المغنين والملهين والجوارى ، وزينوا لهم حياة الدعة والترف . وأطلقوا عليهم الشعراء المجان يدغدغون غرائزهم فى القصور بأناشيد الشهوة .. وفى الوقت ذاته انطلق الشعراء يمدحون الملوك الطغاة ويسبحون بحمدهم ، ويصوغون حولهم الهالات

والتاريخ يعيد نفسه . وهكذا كان فى حاضر الأوان .. كان فى مصر طاغية صغير ؛ كان يعبد ذاته ، ويقدس شهواته . وكان يريد أن يحول هذا الشعب إلى عشرين مليونا من العبيد

عندئذ انطلق كتاب وشعراء وفنانون يسبحون بحمد الطاغية الصغير ، ويسجدون له من دون الله . ويخلعون عليه من صفات الله . سبحانه ! مالا يجرؤ مسلم أو مسيحى على النطق به . حياء من الله

وحينئذ انطلق كذلك كتاب وشعراء وفنانون يسبحون بحمد الشهوة ، ويعبدون اللذة . وعندئذ استمع الناس إلى أغنيات تقول : « الدنيا سيجارة وكاس » و « انسى الدنيا » وما إلى ذلك من أدناس وأرجاس

إن التسبيح بحمد الطاغية ، والتسبيح بحمد الشهوة ؛ لم يكونا منفصلين ، ولا غريبا أحدهما عن الآخر..لقد كانت فترة انحلال . وأدب انحلال . إنها العبودية ذات طبيعة واحدة . عبودية الشهوة أو عبودية الطغيان

***

فإذا نحن أردنا أن نكافح أدب الانحلال ، فيجب أن نكافح أولا أسبابه فى حياة الأفراد أو حياة الشعوب . يجب أن نكافح روح العبودية فى الضمير الإنسانى . نكافح عبودية الشهوة فنحرر الضمير البشرى من الخضوع لها . فالإنسان إنما صار إنسانا بتعاليه على ضرورات الحيوان . والتربية الدينية هى الطريق الأنجع والأقرب إلى تقوية روح الإنسان ، وتساميه على ضرورات الحيوان

ونكافح عبودية الطغيان . فالطغيان يحمل معه دائما تشجيع الانحلال والدعة والترهل ، كى يبقى هو فى أمان من انتفاض الكرامة ، وانبثاق الحرية ، والانتقاض على العسف والطغيان

وشىء آخر نملكه اللحظة :

لقد عاد الذين كانوا يسبحون بحمد الطاغية الصغير ، ويملون له فى البغى والعدوان ، ويمجدون اسمه ويخلعون عليه من صفات الله الواحد القهار .. عاد هؤلاء هم بأنفسهم يلعنون الطاغية ، ويطلقون ألسنتهم فيه ، ويمزقون عنه أردية المجد الزائفة التى ألبسوها إياه

هذا نفسه لون من ألوان الانحلال . وصورة أخرى لأدب الانحلال . هؤلاء لم يخرجوا فى الأولى أو الثانية عن أن يكونوا عبيدا منحلين . عبيدا يحنون ظهورهم لسوط السيد يلهب به جلودهم . فلما أن سقط السوط من يده — رغم أنفه — التقطه العبيد ، وداروا به يبحثون لهم عن سيد جديد ! .. سيد جديد يلهب جلودهم بالسوط ، ليحرقوا له البخور ، وينثروا من حوله الزهور !

هؤلاء هم ممثلو أدب الانحلال . وهؤلاء هم الذين يجب أن يقصيهم الشعب عن الإنشاد له فى العهد الجديد . عهد العزة والقوة والاستعلاء ، عهد التحرر من عبودية الطغيان ، والتحرر من عبودية الشهوة اللتين قد تجتمعان أو تفترقان ، فتمهد إحداهما للأخرى ، وتهيء لها النفوس والأذهان

أجل ينبغى ألا نسمح لهؤلاء العبيد بالإنشاد للشعب فى العهد الجديد ، ولا أن نغفر لهم تمريغ جبهة الأدب والشعر والفن فى المستنقع الآسن . فكل غفران لهؤلاء هو تنازل عن مبادىء الثورة الجديدة ، وكل استماع لهم هو خيانة للمثل الجديدة

ولا يقل أحد : إنهم كانوا معذورين فى تمريغ الأدب والفن والشعر والإنسانية فى ذلك الوحل . فلقد كان باستطاعتهم أن يسكتوا ، إن لم تبلغ بهم الرجولة أن يكافحوا

إن الاعتذار لهم على هذا النحو تبرير للجريمة ، التى يمكن

اغتفارها للتجار لا لقادة الفكر وزعماء الأدب والكتاب والشعراء والفنانين

إن من حق الثورة علينا أن نتذكر ولا ننسى . نتذكر شناعة الجريمة . شناعة الانحلال الدنس

إن الديدان والحشرات التى عاشت طويلا فى المستنقع كفيلة بتدنيس كل مقدس ، إذا نحن سمحنا لها بالحياة مرة أخرى فى الأرض الطيبة ، التى يجب أن تخلو من الديدان والحشرات

سيد قطب

قد مضى عهد ألف ليلة وليلة

للأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى

كتاب ألف ليلة وليلة يمثل ذلك العهد الذى كانت الحياة فيه تدور حول فرد واحد — وهو شخص الخليفة أو الملك أو حول حفنة من الرجال — هم الوزراء وأبناء الملوك — وكانت البلاد تعتبر ملكا شخصيا لذلك الفرد السعيد . والأمة كلها فوجا من المماليك والعبيد ، يتحكم فى أموالهم وأملاكهم ونفوسهم وأعراضهم، ولم تكن الأمة التى كان يحكم عليها إلا ظلا لشخصه، ولم تكن حياتها إلا امتدادا لحياته .

لقد كانت الحياة تدور حول هذا الفرد بتاريخها وعلومها وآدابها وشعرها وإنتاجها ، فإذا استعرض أحد تاريخ هذا العهد أو أدب تلك الفترة من الزمان وجد هذه الشخصية تسيطر على الأمة أو المجتمع كما تسيطر شجرة باسقة على الحشائش والشجيرات التى تنبت فى ظلها وتمنعها من الشمس والهواء ، كذلك تضمحل هذه الأمة فى شخص هذا الفرد وتذوب فيه وتصبح أمة هزيلة لا شخصية لها ولا إرادة ، ولا حرية لها ولا كرامة .

وكان هذا الفرد هو الذى تدور لأجله عجلة الحياة ، فلأجله يتعب الفلاح ، ويشتغل التاجر، ويجهد الصانع، ويؤلف المؤلف، وينظم الشاعر ، ولأجله تلد الأمهات وفى سبيله يموت الرجال وتقاتل الجيوش، بل ولأجله تلفظ الأرض خزائنها ، ويقذف البحر نمائمه ، وتستخرج كنوز الأرض وخيراتها

وكانت الأمة — وهى صاحبة الإنتاج وصاحبة الفضل فى هذه الرفاهية كلها — تعيش عيش الصعاليك أو الأرقاء المماليك ، قد تسعد بفتات مائدة الملك وبما يفضل عن حاشيته فتشكر ، وقد تحرم ذلك أيضا فتصبر ، وقد تموت فيها الانسانية فلا تنكر شيئا بل تتسابق فى التزلف وانتهاز الفرص

هذا هو العهد الذى ازدهر فى الشرق طويلا وترك رواسب فى حياة هذه الأمة ونفوسها ، وفى أدبها وشعرها ، وأخلاقها واجتماعها ، وخلف آثارا باقية فى المكتبة العربية ، ومن هذه الآثار الناطقة كتاب « ألف ليلة وليلة » الذى يصور ذلك العهد تصويرا بارعا يوم كان الخليفة فى بغداد أو الملك فى دمشق أو القاهرة ، هو كل شىء وبطل رواية الحياة ومركز الدائرة

إن هذا العهد الذى يمثله كتاب « ألف ليلة وليلة » بأساطيره وقصصه، وكتاب الأغانى بتاريخه وأدبه، لم يكن عهدا إسلاميا ولا عهدا طبيعيا معقولا ؛ فلا يرضاه الإسلام ، ولا يقره العقل، بل إنما جاء الإسلام بهدمه والقضاء عليه ، فقد كان هذا هو العهد الذى بعث فيه محمد صلى الله عليه وسلم فسماه الجاهلية ونعى عليه وأنكر على ملوكه — ككسرى وقيصر — وعلى أثرتهم وترفهم أشد الإنكار

إن هذا العهد غير قابل للبقاء والاستمرار فى أى مكان وفى أى زمان ، ولا سبيل إليه إلا إذا كانت الأمة مغلوبة على أمرها أو مصابة فى عقلها أو فاقدة الوعى والشعور أو ميتة النفس والروح

إن هذا الوضع لا يقره عقل . ومن الذى يسوغ أن يتخم فرد أو بضعة أفراد بأنواع الطعام والشراب ويموت آلاف جوعا ومسغبة ؟ ومن الذى يسوغ أن يبعث ملك أو أبناء ملك بالمال عبث المجانين ، والناس لا يجدون من القوت ما يقيم صلبهم ومن الكسوة ما يستر جسمهم؟ ومن الذى يسوغ أن يكون حظ طبقة — وهى الكثرة — الإنتاج وحده والكدح فى الحياة والعمل المضنى الذى لا نهاية له ، وحظ طبقة — وهى لا تجاوز عدد الأصابع — إلا التلهى بثمرات تعب الطبقة الأولى من غير شكر وتقدير وفى غير عقل ووعى ؟ ومن الذى يسوغ أن يشقى أهل الصناعة ، وأهل

الذكاء، وأهل الاجتهاد، وأهل المواهب، وأهل الصلاح، وينعم رجال لا يحسنون غير التبذير، ولا يعرفون صناعة غير صناعة الفجور وشرب الخمور؟ ومن الذى يسوغ أن يجفى أهل الكفاية وأهل النبوغ وأهل الأمانة ويقصوا كالمنبوذين، ويجتمع حول ملك أو أمير فوج من خساس النفوس وسخاف العقول وفاقدى الضمائر ممن لا همّ لهم إلا ابتزاز الأموال وإرضاء الشهوات ولا يحسنون فناً من فنون الدنيا غير التملق والإطراء، والمؤامرة على الأبرياء، ولا يتصفون بشيء غير فقدان الشعور وقلة الحياء؟

إنه وضع شاذ لا ينبغى أن يبقى يوماً فضلا عن أن يبقى أعواماً

إنه إن سبق فى عهد من عهود التاريخ وبقى مدة طويلة فقد كان ذلك على غفلة من الأمة أو على الرغم منها، ولسبب ضعف الاسلام وقوة الجاهلية، ولكنه خليق بأن ينهار ويتداعى كلما أشرقت شمس الاسلام واستيقظ الوعى وهبت الأمة تحاسب نفسها وأفرادها

فالذين لا يزالون يعيشون فى عالم (ألف ليلة وليلة) إنما يعيشون فى عالم الأحلام، إنما يعيشون فى بيت أوهن من بيت العنكبوت، إنما يعيشون فى بيت مهدد بالأخطار لا يدرون متى يكبس ولا يدرون متى تعمل فيه معاول الهدم، وإن سلموا من كل هذا فلا يدرون متى يخر عليهم السقف من فوقهم فإنه قائم على غير أساس متين وعلى غير دعائم قوية

ألا إن عهد ألف ليلة وليلة قد مضى فلا يخدعن أقوام أنفسهم ولا يربطوا نفوسهم بعجلة قد تكسرت وتحطمت. إن الفردية مصباح — إن جاز هذا التعبير — قد نفد زيته واحترقت فتيلته فهو إلى انطفاء عاجل ولو لم تهب عاصفة.

إنه لا محل فى الإسلام لأى نوع من أنواع الأثرة. إنه لا محل فيه للأثرة الفردية أو العائلية التى نراها فى بعض الأمم الشرقية والأقطار الإسلامية، ولا محل فيه للأثرة المنظمة التى نراها فى أوربا وأمريكا وفى روسيا، فهى فى أوربا أثرة حزب من الأحزاب وفى أمريكا أثرة الرأسماليين وفى روسيا أثرة قلة آمنت بالشيوعية المتطرفة وفرضت نفسها على الكثرة وهى تعامل العمال والمعتقلين بقسوة نادرة ووحشية ربما لا يوجد لها نظير فى تاريخ السخرة الظالمة (١)

إن الأثرة بجميع أنواعها ستنتهى؛ وإن الإنسانية ستثور عليها وتنتقم منها انتقاما شديداً. إنه لا مستقبل فى العالم إلا للاسلام السمح العادل الوسط، وإن طال أجل هذه «الأثرات» وأرخى لها العنان وتمادت فى غيها وطغيانها مدة من الزمن

إن الأثرة — فردية كانت أو عائلية أو حزبية أو طبقية — غير طبيعية فى حياة الأمة، وإنها تتخلص منها فى أول فرصة. إنه لا محل لها فى الإسلام ولا محل لها فى مجتمع واع بلغ سن الرشد ولا أمل فى استمرارها، فخير للمسلمين وخير للعرب وخير لقادتهم وولاة أمورهم أن يخلصوا أنفسهم منها ويقطعوا صلتهم بها قبل أن تغرق فيغرقوا معها.

ألا إن الفردية آذنت فى الشرق أيضا بالرحيل وبدأت نجومها تهوى، وما هى مسألة زيد وعمرو وإنما هى مسألة عهد ينقضى وفكرة تختفى ومؤسسة تلغى، فليحذر الذين يعيشون عليها أن يوجهوا مصيراً واحداً

أبو الحسن على الحسنى الندوى

(١) اقرأ فى ذلك كتاب
1) The faced labour in Russa, by Evnest Iallgreu

شاعر من يوغندا ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

توطئة :

الشيء الذي كنت أنتظره ، يوم وجهت ندائي على صفحات المجلات العربية في الجزيرة والمهاجر طالباً من إخواني الشعراء في تلك الأصقاع النائية موافاتي بقسم من نتاج قرائحهم وترجمة حياتهم لعرضها على القراء الذين يجهلون كل شيء عنهم في سلسلة مقالات تكشف الستور من نزعاتهم الحسية، وعواطفهم الجياشة، وأحاسيسهم الملتهبة ، لتقدمها « الرسالة » الزاهرة ، مجلة الأدب الحي ، والشعر الخالد ، إلى عشاق الأدب ، وجمهرة المثقفين ، ولكن بالرغم من مرور ستة أشهر على توجيه دعوتي تلك لم يصلني من شعراء الجزيرة إلا النزر القليل ، كأنما ، تلك الأم الولود عقمت فلم تعد تنجب شاعراً بعد ، وكأنما الأرض التي أطلعت نجوم البيان وأعلام الشعر — منذ الجاهلية حتى الآن — استحالت إلى صخور جرداء لا نبت فيها ولا زرع . فإلى جميع من وجهت إليهم ندائي بالأمس ، سواء على صفحات « الرسالة أو الأديب أو صوت البحرين أو الصراحة السودانية أو الإصلاح النيويوركية أو العصبة البرازيلية » أكرر عليهم الطلب ثانية ... وحسبي أن أقدم إليهم اليوم .. أخاً من إخوانهم في هذه الدراسة على أن أتبعها في القريب بدراسة جديدة عن «شعراء القطيف..»

الشاعر :

هو الزميل الفاضل الأستاذ لطفي جعفر أمان .. ولد في « عدن » في منتصف عام « ١٩٢٨ » للميلاد فيكون بذلك قد سلخ من حياته ٢٣ سنة و ٦ أشهر تقريباً . تلقى دروسه الأولية في مدرسة حكومتها الابتدائية لمدة سبع سنوات .. وفي ذلك العهد الطري المشبع برائحة الطفولة كانت ميوله تتجه اتجاها بدائيا إلى الفنون والأدب ؛ كما كان أخوه الأكبر ينصب انصبابا وينكب انكبابا على مطالعة الكتب مع إيثار العزلة وخلق جو شاذ من الانطواء على النفس متخذا من حكمة شاعر الأجيال « وخير جليس في الزمان كتاب » رائداً .. ودليلا .. أما أخوه الثالث فكان يجيد الرسم ويبعثر لوحاته على الجدران وفي الأدراج وبين جوانح المجلات المصورة . أما أخوهم الرابع فكان يقرض الشعر .. فخلقت هذه الأسرة التي كرست حياتها للفن جوا خاصا للأخ الصغير .. وهيأت له كل شيء لتعده إعداداً أدبيا خاصا .

ولنستمع إليه وهو يقص علينا أحاسيسه في تلك الفترة ...

« .. ولن أنسى انزوائي معه — يقصد أخاه الشاعر — فترات طويلة من الصمت أحدق في وجهه التائه أو أغرق معه في موجات السطور التي كانت تتلاطم على الورق وهي تشهد ميلاد شيء اسمه قصيدة .. في ذلك الجو القاتم المضيء بإيحاءات الأدب والفن أولعت بقراءة الروايات بإدمان .. ورسم الصور بشغف .. وحفظ الشعر بسرعة عجيبة .. وأخذت أنزوي حتى عن ملاعب الصبيان الطبيعية(١) »

ومن هذه الكلمات القصيرة التي اقتطفتها من مذكراته يتبين لنا كيف أن الأسرة نفسها دفعت بالصبي الصغير إلى الأدب بعد أن هيأت له الأجواء ..

وفي نهاية عام ١٩٤١ أتم دراسته الابتدائية وكان من الأوائل فاختارته حكومة عدن مع زميل له لإتمام دراستهما الثانوية والعالية في السودان. وهكذا أشرف عليه عام ١٩٤٢ بحياة جديدة في أرض غريبة . حيث التحمت الأشواق بالكفاح ، وامتزجت الدموع بالعرق .. وترنح العمر اللدن بين التيه والرشاد .. تيه الغربة .. ورشاد العلم

وأخذت موجة الانتقال من بيئة إلى أخرى تعكس انطباعاتها على الخاطر وتسجل آثارها في الوعي والخيال

وفي تلك البيئة تعرف بصديق كان له الأثر الفعال في تكوينه الأدبي إذ كانت مدرسة أم درمان الثانوية تنظر إلى هذا الصديق الساخر الكئيب على أنه شاعرها الفيلسوف .. وهذا الصديق هو محمد عثمان جرتلي الذي كان ينشر قصائده في الصحف الأدبية السودانية ويقتني كل ديوان حديث

(١) من رسالته المؤرخة في ٢٣ يناير سنة ١٩٥٢ الى صاحب هذا المقال

وعلى يدى ذلك الصديق الشاعر أخذ مترجمنا الشعر وحفظه وخصوصاً دواوين وقصائد المرحوم على محمود طه والتيجانى يوسف بشير وفؤاد بليبل ، ومحمود حسن إسماعيل .. حيث كان الظلام الملتهب على خلجات أولئك الشعراء يثير فى أعماقه أصداء مماثلة ويحمله معهم بعيداً عن ضجاج الأرض إلى إشراقات روحية صافية يحس فيها بأن للحياة .. معنى غير التراب

وفى عام ١٩٤٣ أخذ شاعرنا يقول الشعر . وكانت مجلة « فتاة الجزيرة » التى تصدر بعدن .. تحمل بواكيره للقراء .. ثم وسعت له الصحف السودانية صدرها فنشرت له قصائد ومقالات وأقاصيص كما نشرت له الصباح المصرية بعض ألحانه

وفى أوائل عام ١٩٤٦ التحق بقسم الآداب بكلية «غردون» الجامعية بالخرطوم بعد حصوله على شهادة « السينير كمبردج » بدرجة ممتازة فى اللغة العربية

وراح شاعرنا الشاب يدرج فى محيط الكلية على نمط جديد من الحياة ولم يكن له أى صديق .. فقد سافر محمد عثمان جرتلى إلى مصر والتحق بكلية الطب بجامعة فاروق الأول بالإسكندرية

كان كل شئ حوله يبعث على الاكتئاب رغم ضحكات الطبيعة المتألقة على النيل . وعلى الانزواء رغم صخب المحيط الجامعى ووحدته الاجتماعية .. وهذه الوحدة وهـذا الألم النفسى وبعده عن دياره وأسرته زينت له الهروب من الحياة.. من واقعها المؤلم.. فلجأ إلى المطالعة وسماره دواوين شعراء الإمبراطورية الإنجليزية . شيلى .. وبيرون.. وكيتس.. ودالامير..وأوبرت برولا .. ومعظم ما تخرجه المطابع العربية من دواوين

فقد كان كل مساء يحمل بعض الكتب والأوراق إلى ركن قصى هادئ فى «الألبيون هوتيل» بالخرطوم أو إلى « بى كباريه» أو إلى « حديقة القرن » المشرفة على النيل والنارقة بالحسان والزهور والأقداح . حيث يستلهم الطبيعة الفاتنة أغانيه وألحانه . وهكذا مرت عليه ثلاث سنوات فى كلية « غردون » وقبل أن ينال شهادة « الدبلوم » فى الآداب بعشرين يوما كانت مطبعة « فتاة الجزيرة » بعدن قد فرغت من طبع ديوانه الأول « بقايا نغم » الذى صدره بهذا الإهداء

أنت يامن يفيض من صدرك الغض جلال الصليب نوراً عليا
لك منى هـذا الذى بين كفيك خفوق بحبك المفقود
نغم ضاع فى مجـاهل دنياك هياما ، وجف إلا بقايا
فاذكرينى بها .. فيا ، رب ذكراك تعيد المفقود من دنيايا
من أمان ، أضعت فيها شـبابى

ولهذا الديوان قصة ، وها هوذا الشاعر ذاته يقصها علينا

« كان ذلك فى كلية الآداب حين أحسست لأول مرة بظمأ الروح للروح ، وكانت ذات الصليب تبعث فى نفسى ذلك الإحساس الجارف فأصورها.. ثلاث سنوات .. ناراً من الحب فى روض من الشعر .. »

وقد أزلت الدموع من أعماقه ، وفجرت فى آفاقه الظلمة والضياء..وسحقت أمامه كل أمل تهب له أملا خليا لم يكن سوى اليأس ، اليأس القاتل الذى يسحق كل شئ :

يا خضما جهم الجوانب يجرى فى مـدى مبهم وأفق قصى
أى لغز مطلسم فى دياجـيك .. وسر فى لغزك المطوى ؟!
كلما لاح لى شراع على الأفق تهـادى مثل الشعاع السنى
هاج فى ناظرى تطفل نفسى فتلفت سـائلا كالصبى
ما ترى ذلك الذى يقحم الغيب ويمضى إلى مداه الخفى !
وركبت العبـاب يدفعنى منه قوى يردنى لقوى
لاحقا بالشراع أسـتنفذ الهمة فى لجة الخضم العصى
وهو ينـأى .. وإن يكن حيثما كان .. كوهم فى لمحة العبقرى

وكان فى منتصف كل ليـلة ينهض بقوة من بين الكتب والدروس تجتاحه مشاعر عارمة ذات غموض .. فيرتعد وهو يحس بالبرد والجوع .. لا يدرى ماذا يعمل . وحشة وسكون .. فيمرق من الباب كالشبح عليه دثار من الصوف .. النيل على مقربة عشرين خطوة .. الطريق مقفر إلا من رجال الشرطة . والعسس قابعون تحت الشجر أو سـائرين تحت الظلام .. صمت أمامه . . وضجيج فى أغواره .. يقطع الجسر الطويل .. إلى أين ؟ . إلى ما وراء ذلك الجسر . هناك حيث يسند ظهره على عمود الكهرباء وأمامه يد لله .. مسكنها النارق فى الظلام والشجر

الوقت . سحر .. الفجر قريب

وتقطع السكون مجلات أول ترام فى الفجر فيعود :—

خفقات الزهر فى الأسحار للفجر القريب

وانبثاق الأمل المشرق فى ليل النريب
واختلاج النور فى المصباح .. عربيد اللهيب
وجراح الشفق الدامى على الأفق الكئيب
كلها معنى بقلبى . من حبيب . لحبيب
يا شموساً روعت بالأمس قلبى بمغيب
أين أنت !!

وتتوالى الليالى .. لا شئ .. كل شئ .. يمضى إلى النيل .. النيل القريب . هناك تحت شجرة ألفته وألفها لا يرضى بغيرها من الأتراب العالقات أوراقها بها فيهتف :

من رآنى هنا .. شريد خيالات . ووهم مجنح الخطوات
أتملى السكون فى ظل زهراء حنون مخضلة النغمات
سكبت من دمى..تسلسل فى الليل . فأصغت نوابت الربوات
وجرى النيل.. واقفاً فى حنايا الليل ينساب كالشجى فى اللهاة
والمصابيح قائمات على الشط .. نجوما مجنونة الومضات
وظلال النخيل أطياف أشباح .. تربصن فى الدجى جاثيات
غبت عن ضجة الحياة ، وأطلقت لفكرى أعنة السبحات
فى دجى مطبق .. وأفق سحيق .. وفضاء محلولك الظلمات
وتصاوير أبدعتها يد الجن .. خفاف .. عربيدة الحركات
فى غمار الذهول تبعث فى نفسى تهاويل من جنون الحياة
ذكريات تدب فى ظلمة اليأس وتنساب فى دمى صاخبات
أزهق العمر فى يديها نضيرا .. وتهاوى فى كفها أمنيات
من رآنى أشيع الحب وحدى .. وهشيم الآمال فوق الرفات

وبعد يا قارئى الكريم أظن أن اليأس بلغ بك منتهاه حينما قرأت هذه اللوعة الدامية التى صورها لنا شاعرها الشاب . فماذا تريد ؟ سأتركك تجتر أنفاسك ببطء .. أو بعمق إن شئت .. ثم هلم معى لنخرج من هذه الكوة المعتمة بالحب واليأس والألم المر .. وهيا بنا نغلق على الروح الأبواب ونتسرب فى سراديب الجسد .. حيث نسمع صراخ الدم فى العروق :

ههنا فى غرفة حمراء .. عابثة الظلام (٢)
وفراش رقصت فى عطره أحلى الليالى
ههنا أحلام مسحورين : قلب .. وجمال

حلم .. أم سكرة ؟ أم نهزة دامت لنا
نحن من نحن . غريبان عن الدنيا هنا

وفى عام ١٩٤٩ عاد الشاعر إلى مسقط رأسه إلى عدن بعد غياب سبع سنوات لاستقبال حياة جديدة أخرى من العمل والكفاح الوطنى . فقد عين مدرسا بمدرسة الحكومة الثانوية كما اشترك محرراً فى مجلة المستقبل .. ومحرراً أدبيا فى « فتاة الجزيرة » وكان ينشر فى الأخيرة — وهى أكبر صحيفة فى الجنوب قصائد ومقالات بعضها صريحة التوقيع وبعضها مستعارة الاسم تحت رمز « النسر » وقل أن يمضى أسبوع دون أن يتحف قراءه بشئ من الشعر أو النثر .. ثم أخذت مجلة « الأديب » اللبنانية تحمل آثاره للبلاد العربية ..

وفى سنة ١٩٥٠ كانت الحياة الجافة فى عدن قد سودت العيش فى عينه فلم يعد يطيق البقاء والصبر . فأحس بشعور الثورة على الأوضاع والنظم القائمة والكهانة وعباد المال . فالتفت كالمجنون : سلسلة جبال بركانية عارية تضج بالجحيم .. وسلالة آدمية كالقبور تتحرك بيله .. ومظالم استبدادية جائرة تنتقل بقفازات من حرير .. وفن موتور مغمور يحترق فى قماقم .. وصنف من الرق عجيب .. يبيحه قانون القرن العشرين .. وكل هذه الأوضاع والصور كانت مادة لديوان جديد هو « أغانى البركان » .. ومن هذه الأغانى صرخته المؤلمة هذه

تلفت فلا لمحة من جمال   تلفت . فإن الحياة محال
فأنى تلفت تلق الجبال   جبالا تضج بنار الجحيم
وسكان مقبرة فى زوال

حياة ..كلم الصدا فى سراب   حياة .. كلفح اللظى فى عذاب
حياة .. كثورة جن غضاب   لقد أزهق الحق .. يا ويحهم
وديس على الفن فوق التراب

إذا الريح طوعى لسخرتها   إذا النار ملكى لأضرمتها
وهذى الجبال لفجرتها   براكين تسحق هذى القبور
فأزهو بأنى حطمتها

كل شئ لم يكن غير الثورة واليأس : —

فقامت تلم بقايا القوى   على هيكل مضمحل الأهاب
وتسحب أنغامها النازفات   وتقلع خطوتها باغتصاب

(٠) القصيدة من مجزوء الرمل وهذا البيت خارج عن الوزن

إلى أن محاها شفيف الفضاء وأغوت هداها الفيافى الرحاب
تساقط ثورتها فى الرماد وتمشو بصيرتها فى الضباب
وقد جد الكون فى نبضها وغاض الجمال بقفر يباب
وأين مضت فى غيوم الظلام ؟ إلى الخلد ؟ لا بل سحيق التباب
مصير الذى فج فى نفسها مغاور يأس عتى الرغاب
تسائل عن ذاتها فى القبور فتهتف ديدانها بالجواب
ومن حولها ... كل ما حولها ضجيج ضياع .. وصمت غياب

ثم مضت سنتان .. وفى سنة ١٩٥١ حدثت للشاعر حركة انتقال كبرى .. فبعد صراع نفسى واجتماعى عنيف تزوج حيث احتضن إلى حياته العاصفة إشراقة من السماء وجذوة من النفس. فانتقل من بين الأغلال الجبلية فى عدن إلى مسكن أنيق فى ضاحية « الشيخ عثمان » فى فيحاء من الرمال حيث مسير القوافل .. الرعاة فى المساء .. وحداء البدو .. فاعتزل المجتمع فترة طويلة إلا ما يعنى بها فى مدرسته وبين طلابه

وآنذاك بغضا الحياة فى عدن .. بغضاها معاً . وأحسا أنهما يفقدان شيئا جسيما .. هى « الحرية » .. هما يعيشان ولكن فى محيط من البارود والأغلال .. فحملا أمتعتهما وحطا أطواق الجبال فجاءة إلى غابات أفريقيا .. إلى يوغنده .. حيث يدير اليوم الشاعر مدرسة إسلامية فى « كمولى » وكان ذلك فى نوفبر من عام ١٩٥١

وها الآن وحيدان هناك .. ليس معهما من جنى الدنيا سوى الحب .. غريبان يعيشان على زاد ضئيل جاف من أباديد الذكريات

وفى مساء بارد ممطر موحش . . حينما وضعت راحتها على كتف شاعرها الغريب بحنان وأجهشت تبكى فراق الأهل فهتف من أعماقه :

نفض المساء ستار نافذتى فترنحت فى رعدة المطل
وتعلقت والستر يجذبها بذراع منحل القوى كهل
فنهضت أمحها وقد حضنت أعشى الزجاج بصدر مبتل
وأزحتها عن لوحة خفقت بالأفق خلف الماء والظل
والريح تخبط فى مساربها مجنونة بسنابل الحقل
وتجهمت ديم مقرحة سالت مآقيها على السهل
حلك يقطعها الغمير على أرض ثكلى أديمها يغلى

حتى الطبيعة هاج سادرها وتقلبت محزونة .. مثلى
ونهت إذ لطفت على كتفى كف تمر به على مهل
لما التفت وراعنى منها نضو الخيال وشاحب الشكل
ألقت على صدرى جدائلها ورنت بصمت الدمع كالطفل
وعلى الشفاة تدب رعشتها وتسير فى جفنين من ذل
حتى إذا ساءلتها هتفت ! نحن الغريبان بلا أهل

وهى كما يقول « من أعز الأبيات إلى نفسه .. »

وبعد أيها القراء فهذه لمحة سريعة لفترة من شباب أبلى وجاهد .. ثم انهار .. وحملته المظالم إلى الهروب .. والتغرب . وليس هذا بجديد فى عصر تتشعوذ فيه القوة بالنسف والتخريب .. نسف المثل وتخريب مزايا الإنسان ..

هـذا ولا أريد أن أودع الشاعر لطفى جعفر أمان دون أن أقدم لقرائى الأعزاء قصيدته التى نظمها يوم ٢٤ / ١١ / ٥١ فى الباخرة « دنوتر ماسل » وهو فى طريق هجرته من عدن إلى ممباسا ومنها إلى يوغنده وهى بعنوان « شريد »

سوف أمضى . لكن إلى أين .. لا أدرى ! خطاى الظلام تسرى جريئه
لى إشراقة من الذات .. من ذاتى أنا .. هـذه القتام الوضيئه
عبرت والحياة . . إثم وذنب . . وهى منها .. لكن ومنها بريئه
كلما أفرغت جمالا وطهرا طفحت بالآثام كأساً مليئه
ويح نفسى ضحية تتردى فى خناق التلال .. أية بيئه
أنا فى الناس سبحة من طهور لقفتها أنامل من خطيئه
وحدتى .. يا غيوم ظللها الدمع وأخرى فى جانبيها أواره
تحتمى بالعذاب فى كل قبر نبذ الليل فى الدجى أحجاره
وهى فى لينها وفى عطرها النامى شباب ونفحة من طهاره
أى شئ تنهد فى إثر بلهاء مخلوعة الخطا .. مختاره ؟!
أخطايا تنهدت فى دماها ؟ فمضت تنحر الهوى كفاره
أم غرام تلقفته الأمانى فسلته . مليحة غداره
شق بى فى مجاهل الكون صوت مستفيض الصدى جهلت قراره
أنا فى عمة الدجورى ريح .. ودوى .. وومضة وحراره
ولأى الدروب يزجى بى الصوت محثا . مطلسما أسراره
شقوتى أننى على شفة الحسن وفى نبضة الهوى قيثاره

الولاة والعمال فى عصر الرسول

للأستاذ عواد مجيد الأعظمى

لقد بحثت فى موضوع سابق معنى الولاية ، وتطور مفهومها ، وصيغتها الفقهية والنظرية ، وقد ذكرت فى نهاية الموضوع ، أنى سأتناول الناحيـة العملية والواقعية فى سياسة الولاة والعمال فى مختلف عصور التاريخ الإسلامى مبتدأ فى عصر الرسول (ص)

لم تـكن حكومة النبى (ص) حكومة دينية حسب ، بل حكومة سياسية أيضا « فقد كان (ص) يقود الجيوش ، ويفصل فى الخصومات ويجبى الأموال (١) » « وأن النبى (ص) كان صاحب دولة سياسية ، ورئيس حكومـة كما كان رسول دعوة دينية وزعيم وحدة دنيوية » (٢) وبهذا كان رسول الله (ص) يجمع فى يده بين السلطتين الدينية والدنيوية ، « ولاشئ أصوب من جمع محمد (ص) لجميع السلطات المدنية والحربية والدينية فى يد واحدة أيام كانت بلاد العرب مجزأة » (٣) وقد أكد الرسول (ص) على نظام الشورى فى إدارة الأمة الإسلامية الذى جعله يعتمـد على اختيار عمـال وولاة صالحين يساعدونه فى الإدارة « حيث كان يتخير عماله من صالحى أهله ، وأولى دينه ، وأولى عمله ، ويختارهم على الأغلب من المنظور إليهم فى العرب ، ليوقروا فى الصدور ، ويكون لهم سلطان على المؤمنين وغيرهم ، ويحسنون العمل فيما يتولون ، وكان يستوفى الحساب على العمال ويحاسبهم على المستخرج والمصروف » (٤)

وقـد كان لانتشار الإسلام وتوسعه أثره البين فى اختيار الرسول (ص) عمالا وولاة ينوبون عنه ، لإرسالهم إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية ، وإناطة بعض الأعمال الدينية والمالية بهم .. فيروى المسعودى : « لقد تتابعت اليمن على الإسلام وقدمت على رسول الله (ص) فـكتب لهم كتباً بإقرارهم على ما أسلموا عليه من أموالهم وأرضهم ، ووجه إليهم عماله لتعريفهم شرائع الإسلام وقبض صدقاتهم وجزية من أقام على دين النصرانية والمجوسيـة واليهودية » (٥)

وإن حاجة حكومة الرسول (ص) إلى المال لإدارة شؤون الدولة الإسلامية اقتضى تعيين عمال يقومون بجبايتها : « وكان رسول الله (ص) قد ولى عمرو بن العاص على صدقات سعد ، وعذرة ، وجذام وجديس » (٦) .. كما « وجه عامـل البحرين العلاء الحضرمى ألف درهم إلى رسول الله (ص) وهو أول مال حمل إلى المدينة فصرف على الناس » (٧) . « وكان (ص) يولى على كل مدينة كبيرة بالحجاز واليمن ، وكذلك على كل قبيلة كبيرة عاملا من قبله .. وكانت وظيفة هؤلاء العمال هى الإمامة فى الصلاة وجمع الصدقات » (٨)

هذا إلى أن الرسول (ص) كان يعير انتباها خاصا للشؤون العسكرية ، والقضائية ، وكان يعتبرها جزءاً أساسيا من واجبات العمال .. « فقد كان للرسول (ص) نقباء كما كان له عرفاء أو رؤساء الجند (٩) » .. « وجعل الرسول (ص) القضاء جزءاً

(١) حسن ابراهيم حسن — النظم الإسلامية — ص ١٠٤
(٢) على عبد الرازق — الإسلام وأصول الحكم — مصر ١٩٢٥ ص ٤٧
(١) غوستاف لوبون — حضارة العرب — مصر ١٩٤٥ ص ٤٢١

(٤) كرد على — الإدارة الاسلامية ص ١٢
(٥) المسعودى — التنبية والإشراف — القاهرة ١٩٢٨ . ص ٢٣٩
(٦) ابن عساكر الشامى — التاريخ الكبير ج ١ الشام ١٣٢٩ هـ ص ١٠١
(٧) المسعودى — التنبيه والإشراف ص ٢٢٦
(٨) حسن ابراهيم حسن — النظم الاسلامية ص ١٩٤
(٩) كرد على — الادارة الاسلامية ص ١٣

* * *

يا غريبـاً موزعاً كأمانيه .. شريداً كالنجمة المحتاره
غم أشجانه على من الترب ووارى عن ناظريه بحاره
فمضى والحياة زاد كفاف من نشيد بقتات منه ، استعاره
ربأ النفس أن يحط بها الرق .. ويلق لها النفاق نضاره

فلله هذه النفس الـكريمة التى تحمل ما تحمل فى سبيل الفن .. والفن الخالص.. وسلام عليك أيها الشباب الذى تناضل وليس وراءك إلا الثقة بالروح الخالدة والأمل بالمستقبل . وفى الأعداد القـادمة نماذج جديدة من شعر السودان الحديث . .

وإلى اللقاء القريب أيها القراء الناطقون بالضاد

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

من الولاية يقوم به الوالى » (١٠) وإن استقل القضاء فيما بعد كما سنرى فى الفصول القادمة

ومما مر — نرى أن اختيار الرسول (ص) للعمال والولاة ؛ كان نتيجة حاجة الأمة الإسلامية فى إدارة شؤون حياتها المتعددة — دينيا ، واقتصاديا ، وعسكريا ، وقضائيا — ولكن الواضح أن الرسول (ص) لم يعط لهؤلاء العمال صفة سياسية فى الأوقات التى كان ينيبهم عنه فى المدينة « فإن الرسول كان ينيب عنه قائدا يقود سرية من السرايا ، أو ينيب عنه بالمدينة أحد أصحابه لإمامة الناس والصلاة » (١١) .. « ولكن لم يكن لهؤلاء العمال صفة سياسية » (١٢)

وقد فرض الرسول (ص) الرواتب لعماله .. « فقد فرض لعتاب بن أسيد الذى ولاه مكة درهما كل يوم .. فكان هذا الراتب أول ماوضع من الرواتب للعمال »(١٣) وقد استمر ذلك إلى زمن عمر بن الخطاب حيث قدر الرواتب للعمال بعد تدوين الدواوين وتعيين أرزاق الجند ، وأول ما فعل ذلك لما وجه عمار بن ياسر إلى الكوفة وولاه صلاتها وجيوشها فجعل له ٦٠٠ درهم فى الشهر » (١٤) « كما أجرى على عثمان خمسة دراهم كل يوم » (١٥)

وكان الرسول (ص) يوصى عماله خيرا ، باتباع سياسة الحق والعدالة ، فما روى عنه أنه قال لمعاذ بن جبل : « إنى أحب لك ما أحبه لنفسى ، لا تأمرن على اثنين ، ولا تتولين مال يتيم » (١٦) وهناك أحاديث كثيرة تروى عن الرسول (ص) وجميعها توضح ما يجب على الولاة اتباعه من سياسة العدل والمساواة بين الرعية ؛ فمن قوله (ص) : « مامن يؤمر على عشرة إلا وهو يأتى يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه حتى يكون عمله هو الذى يطلقه ويوثقه » (١٧)

وقد ورد فى الحديث أن النبى (ص) قال : « يؤتى بالولاة يوم القيامة فيقول الله عز وجل أنتم كنتم دعاة خليقتى وخزنة ملكى فى أرضى ، ثم يقول لأحدهم لم ضربت عبادى فوق الحد الذى أمرت به ، فيقول يارب لأنهم عصوك وخالفوك ؛ فيقول لاينبغى أن يسبق غضبك غضبى ، ثم يقول لأحدهم لم عاقبت عبادى أقل من الحد الذى أمرت به ، فيقول يا رب إنى رحمتهم ، فيقول تعالى : كيف تكون أرحم منى ، خذوا الذى زاد والذى نقص واحشوا بهما زوايا جهنم » وفى الحديث أيضا قال (ص) « لايقف أحدكم موقفا يضرب فيه رجل مظلوم ، فإن اللعنة تنزل على من حضر حيث لم يدفع عنه »

فهكذا كان الرسول (ص) قويا ، حازما ، حريصا على توجيه النصائح والإرشادات لولاته وعماله ، حاثا لهم على تطبيق الحق والعدل والمساواة بين الرعية

عواد مجيد الأعظمى

بغداد — العراق

(١٠) عطية مصطفى — القضاء فى الاسلام مصر ١٩٣٩ ص ٩٥
(١١) حسن ابراهيم حسن — النظم الاسلامية — ص ٩٥
(١٢) نفس المصدر — النظم الاسلامية ص ١٩٤
(١٣) كرد على — الادارة — ص ١٥٠ وحسن ابراهيم — النظم — ص ١٩٤
(١٤) كرد على — الادارة ص ٢٠٦
(١٥) النهرى — سراج الملوك — ص ٣٣ — وجرجى زيدان — التمدن الاسلامى ج ١ ص ١٣٤
(١٦) أحمد القرشى — معالم القربة فى أحكام الحسبة — كمبرج ١٩٣٧ ص ٢١٦
(١٧) نفس المصدر — معالم القربة ص ٢١٦

ميلاد أمـــة

للأستاذ حامد بدر

كنا نريد الكلام ولا نتكلم . ولنا ألسن ؛ لأن على الأفواه أقفالا . وكنا نظلم ويبطش بنا ، فلا نستطيع أن نرد الظلم ، أو ندفع البطش . ولنا أيد ؛ لأن فى الأيدى أغلالا . وكنا نؤخذ فى كل شئ قسرا . فلا نجد مفرا . لأن الحرية ضائعة . والطغيان بالغ منتهاه !

فإذا فاض الإناء . ونفد الصبر . لم يجد الكاتب ما يخفف به من بلائه سوى زفرة حارة يرسلها على القرطاس . فى عبارة مقنعة لا يفهمها إلا من يعرف أسرار الرموز . ويفك عقد التعابير . ولا يعرف أسرار الرموز . ويفك عقد التعابير إلا من نزل به هم كهم هذا الكاتب المحزون ، أو أصابه جرح كجرح ذلك الفصيح الأبكم !

ولا شك فى أن للمظلوم الذى لاذ بالصمت كارهـا شكاة تسمع ولو لم ينطق بها . فليس بين الإله وبين قلوب عباده حجاب . وهو بالظلومين والظالمين خبير بصير . كما لا شك فى أن للظالم جزاء يلاحقه أينما كان . فإن لم يلحقه عاجلا . فلابد أن يلتقى به فى يوم ما . وإن يوم الفصل الذى أعد له لأبشع وأشنع وأفظع من كل انتقام عاجل يصيبه فى الدنيا !

كنت بالأمس لا أستطيع الكلام الصريح . ولى لسان عليه غل . وفى يدى قلم عليه غل أيضا . فإن حاولت الكتابة لأنفس عن نفسى . وأخفف من آلامها . أخذت أدور حول الغرض ولا أقربه . ولأنى أمقت الدوران . كنت كثيراً ما أطوى الكتاب قبل إتمامه . وأعرض عن الموضوع قبل استيعابه

كنت أقول فى نفسى : إن كل شئ فى الصدر مخطوط . وفى الإفضاء بما فى الصدر راحة . ولكن كيف أسجل شكاتى التى أريدها صريحة ناصعة ولا سبيل إلى ما أردت ؟ لن أكتبها مشوهة مبتورة ! فالسكوت السكوت !

هكذا كنت أوثر السكوت وأنا مكره . والآن وقد انطلقت الألسن والأقلام ..فما عذرى إن لم أتكلم ؟

بالأمس كنت مكرها على السكوت . واليوم زالت الأسباب التى من أجلها أردت الكلام . فلا كلام بالأمس. ولا كلام اليوم ! والفرق واضح بين سكوت الأسير العاجز ، وسكوت الحر القادر، وليس أدل على الرضا من سمت المرء وهو قادر على الإفصاح

كنت بالأمس أريد التحدث عن الحرية المسلوبة . والحق الضائع . والظلم القائم . واليوم وقد ردت الحرية . وجاء الحق . وذهب الظلم . لا أجد ما يدعونى إلى الكلام

إن العبرة تذهل من يفكر تفكيراً عميقا فى هـذا الحلم الذى حققه بمشيئة الله وقدرته — جيشنا الأمين . وقائده النجيب. وإن نشـوة الانتصـار تغمر قلب كل مصرى ، يفيض من الحمد والشكران

لا أريد اليوم أن أقول شيئاً . فإن الرضا بالحاضر أسكتنى . والثقة بأن الزمام فى أيدى الأمناء المخلصين الذين خرجوا بنا من الهوة . إنما هى ثقة من يتطلع إلى القمة ، فلا شك فى أن الخروج من الهوة صعود . والوصول إلى القمة منتظر « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم »

إن كل دقيقة ينفقها الرجل فى كلام ضائع . وهو قادر على إنفاقها فى عمل نافع . لهى فرصة ضائعة . وإضاعة الفرص المتاحة خيانة وسرقة ومماطلة فى حقوق البلاد

وإنه ليغمرنى شعور بالرضا . وراحة الضمير . والشكر لله سبحانه. عندما ينهض الرئيس علىماهر ليتكلم فيقول: عملنا وفعلنا وقررنا.. وكان غيره يقول : سنعمل وسنفعل .. والفرق كبير جدا بين الوقت الذى أنفقه الرئيس على ماهر فى العمل . والوقت الذى أضاعه غيره فى إنشاء الخطب وإذاعتها ونشرها . هذا وقت قليل جدا فى حساب الساعات والدقائق . لكنه كثير مبارك . فى نتائجه السريعة الناجحة . وذاك وقت كبير جدا فى حساب الأيام والسنين . لكنه صغير وتافه . فى نتائجه البطيئة الفاشلة

لو قيل لى : ماذا تتمنى ؟ لتمنيت للبلاد رئيسا حكيما مخلصا . وجيشا قويا أمينا يقوده قائد قوى أمين

لو قيل لى : ماذا تتمنى ؟ لتمنيت ما كان . فحمداً لله على أن حقق ما تمنيت . فأعطى البلاد خيرا كثيرا يعقد الألسن من العجز عن تصوير معانى الرضا والشكران

٢ ـ أبو هلال العسكرى
بين البلاغة والنقد

للأستاذ عبده عبد العزيز قلقيلة

نشأة النقد وتطوره إلى عهد أبى هلال

لابد للأثر الأدبى فى نفوس الناس من صدى يتمثل فى استجابة عواطفهم له وتجاوب أفكارهم معه ؛ وقد يأخذ مظهر النفور منه والازورار عنه . ونتيجة هذا أو ذاك تلك الآراء والأحكام العامة بالحسن أو القبح ، والجودة أو الرداءة . وقد وجد عند العرب منذ الجاهلية نقد أدبى بهذا المعنى لم تكن له أسس أو أصول مقررة ، وإنما هو أحكام تقوم أكثر ما تقوم على التأثر والانفعال . حتى إذا كان القرن الأول الهجرى اتسع أفق النقد وجنح إلى شىء من الدقة وحاول أن يحدد بعض خصائص الصياغة والمعانى ؛ وما كاد هذا القرن ينتهى حتى ارتقى النقد ارتقاء محمودا ، وكثرت مواطنه فى البادية والحضر

ثم يكون القرن الثانى فنرى طائفتين لهما شأنهما فى النقد هما: اللغويون والنحاة . من أمثال أبى عمرو بن العلاء ، ويونس بن حبيب ، والأصمعى ، وأبى عبيدة ، والمفضل الضبى . وقد سلك هؤلاء لونا جديدا من النقد تشعبت بحوثه وتنوعت ، وعرفت له مقاييس وأصول ، وابتدأت محاولات النقد المنهجى تظهر

فهذا « محمد بن سلام الجمحى » الذى عاش فى أواخر القرن الثانى وأوائل الثالث يؤلف كتابه (طبقات الشعراء) يتكلم فيه عن الشعر الموضوع ، ويبرهن على وجود الوضع بأدلة عقلية ونقلية ، ثم يخلص إلى فكرته الرئيسية فى الكتاب وهى الحديث عن الشعراء وتقسيمهم إلى طبقات ، صادرا فى تقسيمه هذا عن مبادئ عامة اتخذها أساسا للحكم عليهم هى: كثرة شعر الشاعر وتعدد أغراضه وجودته ، متناولا فى ثنايا ذلك بعض الظواهر الأدبية وتعليلها من مثل : أثر البيئة فى لين اللسان أو غلظه، وفى رقة الشعر أو خشونته ، ومن مثل: قلة الإنتاج الأدبى فى بعض البيئات وكثرته فى البعض الآخر

أما القرن الثالث فقد كان خصبا حافلا بالرجال والأفكار ، إذ انضمت فيه إلى الجداول العربية الأصيلة من التفكير جداول أخرى من المعارف الأجنبية ، كان لها أثرها فى تشعب النقد واختلاف مشارب النقاد . فمن لغويين كالمبرد، إلى أدباء مثل عبدالله ابن المعتز ، إلى علماء أخذوا نصيبا يسيرا من المعارف الأجنبية يمثلهم الجاحظ وابن قتيبة ؛ إلى آخرين تأثروا كل التأثر بما نقل عن اليونان كقدامة، ومن أهم الكتب التى تصورهذه الاتجاهات كتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البديع لابن المعتز ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، والبيان والتبيين للجاحظ ، ونقد الشعر ونقد النثر لقدامة

أما كتاب الكامل فيفيض بطاقة كبيرة من النصوص الأدبية المأثورة حتى كانت تعجب الذوق العربى الخالص فى ذلك الوقت . ونرى مؤلفه — وهو أديب لغوى نحوى — يعالج هذه النصوص على طريقته العربية الخالصة فيشير إلى ما فيها من « اختصار مفهم أو إطناب مفخم أو لمحة دالة » ويأتى بالأمثلة الكثيرة على « ألفاظ العرب البينة القريبة المفهمة الحسنة الوصف الجميلة الرصف » وعلى « ما يفضل لتخلصه من التكلف وسلامته من التزيد » ثم على « ما يستحسن لفظه ويستغرب معناه ويحمد اختصاره » وهكذا . ويعجب المبرد بالتشبيه ، ولذا نراه فى الباب ٤٧ جـ ٢ يطيل فى ذكر بعض ماس للعرب والمحدثين بعدهم منه، ويعلق على

وهب الله البلاد الرئيس والقائد اللذين أعدهما لحماية المظلومين من الظالمين . وإقامة الحكم الصحيح النقد للبلاد

فاليوم لا كلام إن لم يكن مسبوقا بالعمل أو مقرونا به . لا كلام إن لم يكن توجيها صالحا أو تشريعا طيبا نافذا

إن الوقت أصبح غاليا جدا . وكم بذلناه وأفنيناه رخيصا . بل من غير ثمن !

وإذا حق لنشوة النصر أن تدفع القلم ليكتب . فإنى أسجل هذه العبارة الموجزة :

ليمض كل مصرى فى واجبه أمينا مخلصا ، فقد أتيح لكل مصرى أن يؤدى واجبه من غير التواء ولا انحراف

حامد بدر

الأمثلة بطريقته الخاصة محاولا فى ثنايا ذلك أن يلم ببعض النواحى النظرية فيه .

أما كتاب عبد الله بن المعتز فهو الذى حدد خصائص مذهب البديع وفصلها عما عداها ورد هذه الخصائص إلى التراث العربى القديم . وقد كان لهذا أعظم الأثر فى توجيه النقد وجهة تاريخية وحمل النقاد على اتخاذ التقاليد فى الشعر مقاييس لهم ؛ وكان هذا سببا فى أن عظمت العناية بمسألة السرقات الأدبية

وحين نصحب ابن قتيبة فى كتابه (الشعر والشعراء) نرى أنه رفض الأخذ بتقسيمات ابن سلام لأنه لم يؤمن بها ؛ بل بحث الموضوع من وجهة نظر عقلية بحتة ، ونجح فى هذا حتى إذا كان دور التطبيق وعمل الذوق الفنى أخفق . وقد تدبر الشعر فوجده أربعة أضرب حسب الحسن والجودة فى لفظه ومعناه، ومثل لكل ضرب ، وقسم الشعراء حسب مافيهم من تكلف أو طبع ، وبين أن للشعر دواعى تحث البطىء وتبعث المتكلف، وله أوقات يبعد فيها قريبه ويستصعب ريضه ولا يعرف لذلك علة إلا من عارض يعرض على الغريزة ، كما أن له أوقات يسرع فيها أتيه ويسمح أبيه . ثم يأخذ ابن قتيبة فى الكلام على الشعراء وترجمة حياتهم

أما الجاحظ فقد يكون أهم شخصية من شخصيات القرن الثالث ، وذلك لأن عمله مزدوج ، وقد برز تبريزا ظاهرا سواء فى البلاغة أو فى النقد . ففى البيان والتبيين يتحدث عن المعانى وتصورها واختلافها فى النفوس ، وأنها ما لم يعبر عنها موجودة فى قوة المعدومة ، وإنما تحيا بالتعبير عنها . وكيفية التعبير عن المعانى تجذبه إلى التحدث عن الألفاظ ، وإلى المقارنة بينها وبين المعانى ، وهذه البحوث من صميم البلاغة . لكنه مع ذلك يلاحظ ملاحظات ويبدى آراء على جانب عظيم من الأهمية فى الإنتاج الأدبى ونقده — منها :

(١) البعد عن الهوى والمحاباة . أى يدعو إلى أن يكون النقد موضوعيا معللا قائما على أسس تبعده عن التحيز والتعصب

(٢) الطبع والاستعداد . فهو يدعو من يأنس فى نفسه ميلا إلى الأدب أن ينمى هذا الميل ويلتمس له النماذج الرفيعة غير متهيب من إساءة ، ولا متخوف من نقد

(٣) رسالة الأدب ويرى أنها خلقية

(٤) عدم إذاعة الآثار الأدبية قبل التأكد من جودتها

وسنرى بعد أن هذا العمل المزدوج الذى اضطلع به الجاحظ كان شيئاً طبيعيا اقتضته روح العصر وتلك الحركة العلمية التى كانت فى عنفوان نشاطها لكنها كذلك كانت فى مراحلها الأولى إلى الآن والنقد الأدبى إما عربى صرف ؛ أو عربى فيه لمحات خافتة من ثقافة اليونان لكنه عربى القواعد والتطبيق على كل حال . لكن مع هذا النقد أو بعده بقليل (فى الربع الأخير من القرن الثالث والثلث الأول من القرن الرابع ٢٧٥ — ٣٣٧) ألف قدامة بن جعفر كتابين : أحدهما فى نقد الشعر والآخر فى نقد النثر على اختلاف فى نسبة الثانى إليه

ذكر فى نقد الشعر أنه لم يجد أحدا وضع فى نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا مع أن الناس يخبطون فيه وقلما يصيبون . وكأنما ساءه هذا الإهمال وعز عليه أن يضل الناس فى نقد الشعر . فوضع فى ذلك كتابه ، وقد عالج الموضوع على طريقة ظاهرة التأثر بتفكير أرسطو . وأظهر أثر لكتاب الخطابة عند قدامة هو الكلام فى الفضائل النفسية التى جعلها أرسطو أمهات الفضائل . فقد نقلها قدامة إلى الشعر وربط معانيه بها وأدعم بينه وبينها الصلات

أما نقد النثر فإنه يستدرك به على الجاحظ « الذى لم يوف وصف البيان ولا أتى على أقسامه فى هذا اللسان » ولهذا راح قدامة يتكلم عن البيان والقياس والعبارة وما يندرج تحتها من الاستعارة والأمثال وغيرها . بهذا ننتهى من القرن الثالث حتى إذا كان القرن الرابع رأينا حركة النقد تبلغ ذروتها على أيدى الآمدى والجرجانى وأبى هلال حيث تتسع دائرة التاريخ الأدبى وتقسيم الشعراء إلى طبقات

ويزداد الاهتمام ببحث موضوع التعبير الشعرى ومناقشة خصائص الأسلوب القرآنى وتظهر الكتب القيمة فى جميع هذه النواحى مثل : كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى وديوان المعانى لأبى هلال فى تحليل البواعث الشعرية وتبويبها ، وتتجلى الموازنة بين الشعراء وتحديد منازلهم الأدبية فى كتاب (الموازنة) للآمدى و (الوساطة) للجرجانى . كما يتمثل اقتراح البحوث

البلاغية التي بدأها قدامة وابن المعتز ، والبحوث القائمة على الذوق الأدبي في كتاب (الصناعتين) موضوع البحث

تداخل البلاغة والنقد أمر طبيعي : —

سبق القول بأن كلا من البلاغة والنقد يدور حول تحقيق الصدق والقوة والجمال في التعبير الأدبي . وهذا العرض السريع لنشأة كل منهما وتطوره يوقفنا على تشابه هذه النشأة بل على وحدة الظروف التي خلقتها

وإذا فلم يكن من الغريب أن يلتقيا في تطورهما أكثر من مرة على أيدي رجال موزعين بينهما أو قد أحاطوا بهما فتكلموا فيهما على اختلاف في الميل إلى أحدهما أو زيادة في الاهتمام به . وأرى أن طبيعة الثقافة ، وحاجة العصر ، وتقدم الزمن أو تأخره بالمؤلف ؛ كل ذلك شارك في توجيهه ودفعه إلى هذا البحث الخاص من بحوث البلاغة أومن بحوث النقد أكثر مما كان عند هذا المؤلف من دوافع الرغبة والإرادة

فالمبرد : أديب لغوي ثم هو من صميم العرب ولم تطعم ثقافته بهذا اللون من ألوان الثقافة الأجنبية . ولذا نراه يتكلم في البلاغة والنقد بروح اللغويين، فما جارى اللغة وساير قواعدها فهو الجيد ، ولا يحتاج بعد هذا إلا إلى جزالة أو فخامة أو متانة حتى يكون بليغا . والبلاغة عنده تتراءى من بعيد في الاختصار المفهم والإطناب المفخم واللمحة الدالة وفي التشبيه « الذي لوقال قائل إنه أكثر كلام العرب لم يخطئ »

وابن المعتز : ذلك الشاعر المطبوع ذوالذوق الخصب والملكة الموسيقية كان أديبا أنيق الصياغة والتصوير ، وإلى جانب هذا كان ذا قدم راسخة في رواية الأدب ونقده . ولقد ألف في ذلك كتبا منها (طبقات الشعراء) و (السرقات) . وله في البلاغة والنقد كتاب البديع

والجاحظ الفحل : بسط جناحيه على معظم مسائل البلاغة والنقد ثم انتفض انتفاضة العبقرية في الفن فكان كتابه الخالد « البيان والتبيين » .

وقدامة ينقد فيرده النقاد إلى البلاغة ، ويتكلم في البلاغة فيرده البلغاء إلى النقد ، ويسعنا أن نقول . إنه كان ناقدا وكان عالما بالبلاغة ولو أن نقده وبلاغته كانتا بحيث تغلب عليها روح الفلسفة والمنطق

وهذا التداخل بين البلاغة والنقد أمر طبيعي بعد الذي علمنا من تقارب عملها وبعد ما كان من توحد بعض المؤلفين فيها . دعا إلى ذلك وساعد عليه تكتل العلوم وجعلها مجاميع لذلك العهد . فقد كانت هناك علوم الدين من فقه وأصول وتفسير وحديث ووعظ . وعلوم اللسان من متن اللغة وتعريفها واشتقاقها وروايتها وبلاغتها ونقدها . وعلوم التاريخ العام والخاص . وعلوم أجنبية من فلسفة ومنطق ورياضيات . فكان الرجل يشتغل بمجموعة من تلك المجاميع فيشتهر بها ويؤلف فيها ؛ بل قد ساعد النشاط العلمي والتنافس بين البيئات المختلفة على إحاطة العالم بعلوم مجموعتين أو ثلاث

والآن لنتقدم إلى أبي هلال ولنصحبه في كتابه (الصناعتين) لنرى حظ البلاغة منه وحظ النقد

(يتبع) **عبده عبد العزيز قلقيلة**

حول مقال

يقظة الوعي الاسلامي

« الى الأستاذ محمد عبد الله عنان »

للأستاذ محمد رجب البيومي

أخذ الروح الإسلامي في مدى عشرين عاما يرسل أضواءه المتلاحقة في المجتمع المصري الحديث ، حتى أصبح لدينا وعي ديني يحسب حسابه ، ويلمس أثره الواضح في كل اتجاه ، غير أن طائفة من الكتاب يطبقون عيونهم عما حولهم ، فلا يقدرون لهذا التيار العنيف أثره البعيد في اختلاف النظرة ، وتحول الرأي ، بل يتكلمون عن الدين كما كانوا يتكلمون عنه في مطلع هذا القرن ، قبل أن تتبدل الحال غير الحال ، حيث أفلح الاستعمار في أداء رسالته التبشيرية ردحاً من الزمن ، فرسم الشريعة الإسلامية صورة مخيفة مفزعة تتقوض معها دعائم الحضارة والعمران ، وقد أذن الله أن ينجاب ليل الباطل عن النفوس ، فأخفق أعداء الإسلام في محاربته ، وأسفر صبحه الوضيء بهيجاً ساطعاً ، فسار الناس على ضوئه وطالبوا بتحقيق رسالته ، وهم لابد واصلون إلى ما يبتغون على يديه من خير وإصلاح

ولقد كانت القوانين الوضعية تسن في مصر مخالفة روح الشريعة الإسلامية قانونا إثر قانون ، ويقابلها الرأي العام في الصحف والأندية مرحبا هاتفا ، فإذا اعترض عليها مسلم مخلص لدينه وعقيدته ، رمي بالجمود المتأخر ، والرجعية البالية ، وقوبل حديثه باستخفاف هازيء وسخرية مريرة ، أما الآن فقد تيقظ الوعي الديني في الأمة المصرية تيقظاً يبشر بالخير والسداد ، والتف الجمهور الناضج حول الشريعة الإسلامية التفافا متماسكا ، وسمع الناس كلمة الدين في حقوق المرأة تدوي عالية قوية ، فيذعن لها أصحاب التشريع ، ويقف لديها القانون سامعاً مطيعاً، ولكن الرجوع إلى الحق لم يرض فريقاً من الناس فاندفعوا يهاجمون القوانين الدينية هجوما فاشلا ، ويرددون النغمة البالية التي لحنها الاستعمار قديماً لتحول بين الشعب وكرامته ، فهم ينذرون الوطن بالتأخر والفشل إذا احتكم لقرآنه في تشريع ، أو تبع دينه في مذهب ، وقد أدهشني أن أجد الأستاذ محمد عبد الله عنان — مع ما عرف عنه من التعقل والاتزان — يصيح مع هؤلاء الناقمين ، فيهجم على قوانين الشريعة هجوما ظالما ، ويرى في نظمها العريقة تقهقرا لا يليق بمجتمع متحضر مستنير ، وسأنقل هنا بعض ما كتبه الأستاذ بالعدد (٧٠٦) من مجلة الثقافة الغراء دون أن أشوه حديثه بالتلخيص الموجز ليقف القراء على رأيه من أقرب طريق .

يقول الأستاذ :

« والحقيقة أن هذا الاتجاه (نحو الشريعة الإسلامية) خاطيء من أساسه ولا محل على الإطلاق أن يتخذ الدين أساسا لمثل هذا الموضوع ، سواء لتوكيد التحريم والإباحة ، وإذا كانت مصر دولة إسلامية فليس معنى هذا أنها دولة دينية ، أو بعبارة أخرى أنها دولة تطبق أحكام الدين في سائر نواحي الحياة العامة ؛ فالنظم الأساسية والقوانين المدنية والجنائية المصرية كلها نظم وقوانين تطبعها الصفة اللادينية »

إلى أن يقول : « فإذا ما تقرر ذلك وهو أن النظم والقوانين المصرية هي نظم مدنية لا دينية ، لأنها هي النظم والقوانين التي توافق روح العصر ومقتضيات الحياة الاجتماعية ، فلا محل لأن نجعل الدين حكما في مسائل لا علاقة لها بالدين ، ولا تمس العقيدة الدينية ذاتها ، ولا محل إذن لرجع بمطالب المرأة السياسية الاجتماعية إلى أحكام الدين مادامت هذه المطالب لا شأن لها بالعقيدة »

ثم يقول في النهاية : « فمحاولة النيل من هذه النهضة المباركة (نهضة المطالبة بحقوق المرأة) والرجوع بها إلى الوراء باسم الدين أمر لا يقبله عقل مستنير أو منطق سليم »

ونحن حين ننقل هذا الكلام الجريء لا نرغب أن نعقب عليه بنقد يكشف خطأه للناس ، فالناقد المخلص يشرع قلمه حين يخشى استجابة المجتمع لرأي خطير يلتبس فيه الحق بالباطل ، ولكن الوعي السائد ينكر بداهة ، أن يوجد فرق بين الحكومة الاسلامية ، والحكومة الدينية ، كما يعتقد الأستاذ ، فكل حكومة لا تلتزم شريعة الإسلام فليست إسلامية ولا دينية معاً ،

ومن الخطأ الواضح أن يعتقد مسلم أن الدين شيء والإسلام شيء آخر ، فإذا وجد من يجرؤ على هذا القول فى مجتمع رفع الغشاوة عن عينه ، فلن يجد من يستمع إليه ، ولا حاجة لمن يتعقب كلامه بنقد صريح ، إنما الحاجة ماسة إلى من يوقف الكاتب وأمثاله على مدى النشاط الدينى الذى أخذ يسيطر على الحياة المصرية سيطرة مباركة ليزن كل كاتب كلامه عن الإسلام بميزان دقيق

والدهش الذى لا يتوقعه القارئ من الأستاذ عنان بعد أن كتب هذا الكلام ، أنه يتفق مع رجال الدين فى هدف واحد ، فينادى بحرمان المرأة مما تزعمه لها من الحقوق ، ولكنه يرفض أن يكون هذا الحرمان وفق تعاليم الشريعة الإسلامية كما يقول رجال الدين ! بل احتذاء وتقليداً لفرنسا وإنجلترا وبلجيكا ! إذ أن هذه الدول الغربية قد لزمت الحيطة والأناة حين منحت المرأة حقوقها السياسية فى فترات متباعدة ، ولم تفتح لها الباب على مصراعيه مرة واحدة ، فالثورة على القوانين الإسلامية وحدها هى التى تشغل بال الأستاذ ، وتدفع به إلى محاربتها دون ترددوا كثرات

ولقد كان اللائق بالكاتب بعد أن تشبث بالقوانين الوضعية واعترف بأنها — وحدها — التى توافق روح العصر ، ومقتضيات الحياة الاجتماعية ، أن يدافع عنها دفاعا يحببها إلى الذهن المصرى الحديث ، بعد أن كفر بها كفراً لا مزيد عليه ، إذ أنها سيطرت على التشريع المصرى حقبة طويلة ، ففتحت الطريق للرشوة والظلم والاستبداد ، ومحت معانى العزة والحرية والكرامة من النفوس ، وهذه القضايا السياسية الفاضحة التى تمتلئ بها صفحات الجرائد كل يوم لم تكن غير نتيجة حاسمة لهذه القوانين الآثمة التى تتستر على الخيانة والرشوة والاختلاس والتبذير ، حتى فطن المصريون إلى ما تجره الشرائع الغربية من نكبات أليمة على الشرق والإسلام ، فأعلنوا الحرب عليها فى غير هوادة ، وسيأتى اليوم التى تلفظ فيه أنفاسها فى الشرق الإسلامى إلى غير رجعة مادام فى الشرق قرآن يعلن كلمة الله ، وجمهور يعتقد أن الحكم بغير شريعة الإسلام ضلال وكفران

وإذا كانت الدساتير الحديثة التى يؤمن بها الأستاذ عنان تنادى بأن الأمة مصدر السلطات ، فلماذا يخالفها الأستاذ مخالفة سافرة فيتحدى الشعور السائد فى الجمهور ، ويتجاهل ماطرأ على المجتمع من تطور سريع فى الرأى والاتجاه ؟ ويغمض عينه عن الآلاف المحتشدة التى تنادى بالاحتكام إلى الإسلام ؟

إن كان الكاتب فى شك مما نقول ، فلينظر إلى من يطالبون بشريعة القرآن الآن ؟ أهم الأزهريون وحدهم كما كان الحال منذ أعوام ؟ أم أن الصفوة المختارة من الشباب الجامعى طلابا وأساتذة يجاهدون فى هذا السبيل جهاداً يوشك أن يكلل بالنجاح !

من المسيطرون اليوم على دعوة الإخوان المسلمين ؟ أليسوا أعلام القانون وأساتذة التشريع فى مصر ! أفينقصهم العقل المستنير الذى يتشبث به الأستاذ عنان ، أم أنهم يشاركونه الفقه والتعمق والإنتاج !

لقد كان على الأستاذ الفاضل — وهو كاتب لامع ينشر مقالاته فى الصحف اليومية — أن يلحظ ماطرأ عليها من اتجاه ملحوظ نحو الدين ، فقد أفردت صفحاتها الواسعة لمناقشة المسائل الدينية نقاشا مسهباً ، وتسابقت كل جريدة فى تصيد الأبحاث الإسلامية بحثا وراء بحث ، ومن أصحاب هذه الصحف من لا يرحبون بتعاليم الإسلام ، ولكنهم يملقون الوعى الدينى فى الأمة ، ويودون التحبب إلى القارئ بشتى الوسائل ، وفى الكتابة الإسلامية ما يغذى العقول ويشبع الرغبات

لماذا أصدرت أخبار اليوم كتابا عن محمد ، ولماذا أصدرت دار الهلال كتابا يفسر آيات القرآن ؟ أكان المهيمنون على الصحيفتين من عشاق الفكرة الإسلامية فى يوم من الأيام ؟ أم أن الوعى الدينى قد أجبرهم على الإذعان لمشيئته ، فألقوا إليه السلم طائعين ، والتاجر الناجح هو الذى يقدم الثمرة المشتهاة ، ليتدفق عليه الثراء وتتضخم لديه الأرباح !

هذه هى المحاضرات اليومية المتنوعة ، يعلن عنها فى الصحف مساء ، فلماذا يختار الشباب منها ما يمت إلى الإسلام بأقرب الصلات؟ وهذه هى المجلات الإسلامية تتزايد يوماً بعد يوم فلماذا يتكالب عليها القراء رغم ما يحمله غيرها من مغريات اليانصيب والسباق ، ورغم ما تتملق به الغرائز من صور وأقاصيص !

أليس من المضحك أن يعيش كتابنا الأفاضل فى عزلة تامة عن مجتمعهم المتوثب ، فهم لا يحسون بما يسوده من تطور وانتقال ! فإذا كتبوا إليه أخذوا يرددون ما تعافه الأسماع !

الأدب واللغة

من الكائنات الحية

للأديب محمد عثمان الصمدى

— ٣ —

كان هذا كله لأن الذوق الأدبى كان قد تعقد وأصبح موضوعيا إلى أبعد حد ، فلا يرضى إلا عن الخصب والغزارة . وهو لهذا يضغط المعانى حين يتذوقها أو يتفهمها ضغطا شديدا . ويختصرها نافيا منها مالم يكن فى الجوهر مااستطاع إلى ذلك سبيلا. وقد يكون من اللائم هنا أن نلم بقول للجاحظ إزاء بيت من شعر أبى نواس وهو فى وصف كأس

قرارتها كسرى وفى جنباتها . مهاً تدريها بالقسى الفوارس

قال : « نظرنا فى شعر القدماء والمحدثين فوجدنا المعانى نقلت . ورأينا بعضنا يسرق من بعض إلا قول عنترة (وخلا الذباب بها فليس ببارح) وقول أبى نواس (قرارتها كسرى) الخ البيت »

وليس يعنينا من قول الجاحظ أسرق المحدثون من القدماء أم لم يسرقوا .. بقدر ما يعنينا نظره إلى المعانى . فهى مهما تلونت وتشكلت وظهرت فى أثواب وصور مختلفة متباينة فلن يحول ذلك كله بينها وبين رجوعها إلى مصادرها . أو بينها وبين ذوى قرباها وكل ماتمت إليه بسبب قريب أو بعيد . وما من شك فى أن ليس للجاحظ وأمثاله من المثقفين مصدر يحملهم على هذا النظر إلى المعانى إلا ما أشرنا إليه من قبل من الفهم الإجمالى . هذا مع اعتقادنا أن الجاحظ قد أسرف إسرافا شديدا حين عزاها كلها إلى النقل والسرقات

وكذلك روى أن راوية مسلم بن الوليد وفد على يزيد بن مزيد بقصيدة مسلم المشهورة التى مطلعها

لاتدع بى الشوق إنى غير معمود . نهى النهى عن هوى الهيف الرعاديد

فلم يسمح له حاجب يزيد بالدخول . ولكنه عاد فاشترط قبل أن يسمح له بالدخول على يزيد أن ينشده القصيدة . وكان كما قيل للحاجب أدب وفهم . فأنشده القصيدة أو شيئا منها ثم أذن له

ويهمنا فى هذا الخبر أن نتبين إلى أى مدى قد مجت الأذواق والأسماع الكلام المكرور . أو بعبارة أدق قد مجت المعانى المكرورة فى أثواب غير الأثواب ، وفى صور غير الصور . فهى لاتخدع بما تعرض فيه المعانى من تغيير للوزن والقافية . ومن تلون وتصوير . ولكنها كما قلنا تفهم ما يلقى إليها على وجه الإجمال ، فإن ظفرت بالطريق المبتكر على هذا النحو فى الفهم كما ظفر حاجب يزيد فذاك ، وإلا فلا

وقد كان بودى أن أنقل طرفا من النثر الفنى لذلك العصر . ولكنى أجتزئ بالتنويه إلى أنه موجز شديد الإيجاز ، قد اصطنعت كل الوسائل الفنية لضغطه وتركيزه ووجازته ، حتى ليبدو غامضا أو كالغامض فى كثير من الآثار . وهو لهذا منطق الأديم باهته لا يترقرق عليه ماء . وليس من شك فى أن ما آل إليه النثر الفنى هو طور طبيعى ، وأثر من آثار استجابته للحياة ككل كائن حى يتأثر بها ويؤثر فيها . ونحو هذا تحديد بعض المعانى على ضوء المعرفة النحوية ، كما تقول حين تريد التعظيم : « إنا أرسلنا إليك الكتاب » وقد كان حسب المرسل إليه أن يفهم أن الكتاب قد صار إليه والسلام . ثم لا يعنيه التعظيم فى كثير ولا قليل ، بل لم يكن يخطر له على بال . ولقد رأينا من أجل ذلك عالما كبيرا كابن قتيبة يشكو أحر الشكوى مما انتهت إليه اللغة فى

لقد ازدحمت المكتبة العربية بسيل جارف من الكتب الإسلامية التى تناقش الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية على ضوء القرآن ؛ فلماذا التهمها القراء فى نهم واشتياق ، فتعددت طبعات الكتاب الواحد عدة مرات ؟ ولماذا خرس دعاة الإثم من الكتاب فلم نعد نسمع بمن يكتبون عن « كبرياء الحب » « ومأساة قلب » « والموجة العذراء » !

إن المستقبل للاسلام دون نزاع ، فمن شاء أن يلحق بالركب المجاهد فليحمل قلمه فى سبيل العزة والحرية والإيمان ، فما قريب ستبدد الغيوم ، ويشرق النور المتألق ، « ويومئذ يفرح المؤمنون ، بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم »

محمد رجب البيومى

ذلك العصر . ثم يؤلف للناس ما ينفعهم فى هذا السبيل ، وما يقوم من أيديهم وألسنتهم ، وما يبصرهم بدقائق اللغة ، ويحدد لهم بعض ما فى مفرداتها من فروق . وحسبنا أن نشير إلى هذه العبارة له حيث يقول:

فإنى رأيت أكثر(١) أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين، ومن اسمه متطيرين . ولأهله كارهين . أما الناشئ منهم فراغب عن التعليم . والشادى تارك للازدياد . والمتأدب فى عنفوان الشباب ناس أو متناس ليدخل فى جملة المجدودين ، ويخرج عن جملة المحدودين

ولفظة الأدب فى عبارة ابن قتيبة تعنى اللغة وعلومها . فلم يكن لفظ الأدب قد تطور إلى ما نفهمه منه فى عصرنا الآن . وكذلك لم يكتف ابن قتيبة بما عاب به أهل زمانه من جهل باللغة وعلومها ، بل عاب به أيضا : الأدباء وكتاب الدواوين . وأولئك كما يقول الجاحظ خير ممن سواهم علما وبصرا وكتابة .. قال ابن قتيبة :

«فأبعد (٢) غايات كاتبنا فى كتابته أن يكون حسن الخط قويم الحروف . وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتا فى مدح قينة أو وصف كأس »

وكذلك يقول فى كتاب الدواوين أيضا :

« وأى (٣) موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه . وارتضاه لسره . فقرأ عليه يوما كتابا وفى الكتاب (ومطرنا مطراً كثر عنه الكلأ) فقال له الخليفة ممتحنا له : وما الكلأ . فتردد فى الجواب وتعثر لسانه ثم قال : لا أدرى » نعم ضعف العلم العام بمدلولات اللغة ، وأصبح الناس يفهمون مايلقى إليهم على وجه الإجمال ، ذلك لأن العقل كان قد سيطر على مصاير النثر والنظم . فهو قد هضم كثيرا من ألوان الثقافات ، بل لقد أصبح خالقا لها بالقدر الذى أهله له تطوره ونموه بالقياس إلى ما أتاحته له الأنظمة الدينية والسياسية والاجتماعية من حرية وانطلاق . ولقد بلغ من سيطرة العقليات على النفوس أن سار التشدق بمصطلحات الفلسفة والمنطق فى الأندية والمجتمعات ظرفا وكياسة . وليس ذلك فحسب؛ بل لقد أراد أصحاب المنطق إلى الشعراء أن يشمروا على نحو من حدود الفلسفة والمنطق . هـذا وليس رد البحترى على أولئك النفر بمجهول لدى أحد من الباحثين والأدباء . ومن قوله :

كلفتمونا حدود منطقكم والشعر يغنى عن جده كذبه

وبالرغم من البحترى ، وبالرغم من كل شئ سرت العقليات إلى الشعر سريانا قويا . حتى ليبدو شعرا بن الروى فى عمومه رواسب عقلية تارة . وجدلا كلاميا تارة أخرى . والبحترى نفسه وهو أعظم (موسيقار) فى الشعر خلص العقل إلى أدبه فى أماديحه الضيقة التى كان يلفقها لأولئك الذين ليست لهم مآثر خليقة بالذكر والتسجيل . فقد كان يستمدها من العقل حينا ، ومن التراث الأدبى حينا آخر . وهو مالا نجد له مثيلا فى نضوب الروح فيا سلف من شعر أموى على نحو عام . ورأيى —ولعله أن يكون من الغرابة بمكان فى أنفس بعض الناس —أن أماديحه فى الخلفاء بوجه عام أضعف من مثيلاتها فى القواد والحكام وملوك الأطراف

وعدا هذا فقد كانت له تأملات شعرية يغلب عليها العقل الخالص دون سواه ، ومنذ أن استأثرت العقليات بالسيطرة على الأفئدة والنفوس ، تطلع الناس إلى آفاق من المعرفة لم تكن معروفة من قبل . وهذا طور تتحجر معه اللغة ، وينظر إليها على أنها وسيلة وليست غاية من الغايات . ولا تبقى لها منزلة الغاية إلا فى أنفس المختصين أمثال ابن قتيبة ومن لف لفه من اللغويين والنحاة . وأحب ألا يفهم أحد أن اللغة قد اندثرت وأصبحت أثراً من الآثار فى ذلك العهد . كلا . فما إلى هذا أردت ، وإنما أقصد إلى سنة التطور، وإلى أن تيارين من المعرفة قد تعارضا فأيهما كانت روافده أقوى ، ودوافعه أشد ، كتب له الظفر ، وأصبح سمة من سمات العصر يتميز بها من سائر العهود والعصور . وقد كان إلى جانب اللغويين والنحاة تلك البيئات الأرستقراطية التى انحدرت من أصول عربية خالصة . فهى تعمل على المحافظة على تراث العرب وإعلائه لأنه من مقومات الشخصية العربية فى ذلك الحين . وإن لم يحل بينها وبين الأخذ بأسباب الحياة الجديدة فى ذلك الحين أيضاً . ولكن هذا شئ وروح العصر شئ آخر

(١) أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٠
(٢) أدب الكاتب نفسه ص ٧
(٣) أدب الكاتب أيضا ص٦

ومازال العقل يقوى سلطانه ويشتد ، حتى ينتهى الأدب إلى شيخوخته فى العهد العباسى الثانى . وهنا يتغلغل العقل والفلسفة فى الأدب تغلغلا تاما ، إذ أنه كان قد تمثل ما هضم من الثقافات ، وأحالها إلى أثر من آثاره . ويكفى أن ننظر إلى أبى الطيب المتنبى وإلى أبى العلاء المعرى فهما مظهران صحيحان لذلك العصر . وإنما كانا كذلك لأنهما الشاعران اللذان تثقفا بثقافة العصر تثقفا تاما . نعم يكفى أن ننظر إلى هذين الشاعرين لنرى إلى أى مدى تأثر الإنتاج الأدبى بالعقل والفلسفة . وهنا نقطة التحول كما يقولون .

وأقف لأسأل القارئ هذا السؤال : إلى أى طور كان يمكن أن يتطور إليه الأدب بعد أن بلغ هذه المرحلة؛ مرحلة العقل ؟ أما أنا فأرى أنه قد أدركته الشيخوخة ، وما بعدها غير الموت . فالشعر وهو أعظم مظهر له لا يحتمل من المعاظلات العقلية أكثر مما أحتمل على يدى أبى الطيب المتنبى وأبى العلاء . ولولا ما كان للدين من سلطان لكان من المحتمل أن يتطور الشعر فيه إلى الملحمة . ولكنه لم يقع ، لأن الملحمة أروع ماتكون حين تستمد موضوعاتها من الأساطير الوثنية تعالج عليها كثيراً من مشكلات النفوس والعقول والاجتماع فى مختلف البيئات والطبقات . وقد قال باحث أن رسالة الغفران للمعرى ضرب من الملحمة على نحو من الأنحاء . ولكن مع هذا هل استطاعت رسالة الغفران التخلص من أغلال الدين ؟ من الحق أنها لم تستطع . وما كان لها أن تستطيع

وإلى هنا نرى من الخير أن نشير إلى ما قاله الباحث الذى ألممنا به فى أول البحث . وهو أن اللغة لم تبال بما رزئت به الدولة من تدهور سياسى فى القرن الرابع الهجرى . وأنا أيضاً أقرر أنها لم تبال . ذلك لأن شعلة الأدب لم تكن قد انطفأت بعد . ولأنها كما قلنا كائن حى لم يكن قد استنفد حياته . ولم تكن شعلة هذه الحياة قد أتت على كل ما قدر لها من وقود . بل ربما كانت أشد توهجا مما كانت عليه فى العهد السابق . شأنها فى ذلك شأن الخفقة الأخيرة فى السراج

ولقد يبدو لقصيرى النظر أن تعليلنا هذا بسيط بل ساذج . ولكنهم لو ذكروا أن الأدب كائن حى كما بينا آنفا لبدا لهم غير ما يظنون . ونحن ما سقنا هذا البحث من أوله إلى هذه المرحلة ؛ وما طرأ على الأدب فى أثناء ذلك من تحول وتطور ، إلا ليكون كله تعليلا لها . ولننتهى آخر الأمر إلى ما انتهينا إليه من نتائج طبيعية محتومة ليست فى حاجة إلى تعليل ولا تحليل . وإلى هذا فقد كان أمام اللغة طور لم يفض بعد إلى غايته ، وهو طور الفقه فيها وفلسفتها وتدوينها على نحو أوسع شمولا وإحاطة

ومما يزيدنا يقينا بأن الأدب لذلك العهد فى الخفقة الأخيرة ما نراه عند شعراء البيئات العربية الموسومة بالمحافظة وعند أشياعها من منازلة لبعض الألفاظ اللغوية . وإحساسها بها إحساساً شعريا خاصا . وهو طور الشادى المبتدئ الذى يرى فى بعض ألفاظ اللغة رنينا وسحراً أخاذاً قويا . أما الفحل فيرى اللفظ مهما عذب وحسن موقعه فى السمع فإنه يستمد قوته وجماله من السياق . وأجدر هؤلاء المنازلين للألفاظ بالذكر فى نظرنا الشريف الرضى . ولننظر إلى بيته التالى

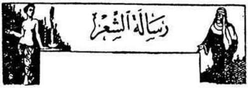
ياقلب ما أنت من نجد وساكنه   خلفت نجداً وراء المدلج السارى

فإن نجدا وساكنه والمدلج والسارى كلها ألفاظ لها إيحاءات خاصة بالشريف الرضى وبأمثاله من الشعراء . ولكن البيت برغم هذا كله قوى رائع . ومصدر روعته فيما أرى أنه حقق المزاج العربى ، وما يهدف إليه من شجو وشجن . وإلى هذا فقد حقق غنائية النظم أيضاً . وليست هى غنائية الفطرة والسليقة التى ألمعنا إليها فى العصر الأموى . وقد يقال إن الشريف الرضى يرى من وراء الألفاظ إلى مدى أبعد مما نقول.وقد يقال إنها عناصر التقليد المنحدرة من التراث الأدبى القديم . وقد يقال غير هذا وذاك . ولكن بشيء من التدقيق لا يسعنا آخر الأمر إلا أن نسلم بما نوهنا به . وقد قلنا من قبل إن الشعر فى العهد العباسى الأول كان فى عمومه مجرد فن فقط . وفى العصر الذى نحن بصدده قد تطور هذا الفن . وما ظنك بشاعر يقول مقطوعة من الشعر فى الغزل ليست بالقصيرة ، ثم لا تخرج منها بشئ إلا أن الشاعر يريد أن يقول لمن ينازله (أنت قمر) . وأنا أفهم أن هذا من أغراض الفن. ولكنه تطور على كل حال . وما بعد ذلك غير التفكك والانحلال. وانتقال الشعلة من أيدى الأدباء والشعراء إلى أيدى المفكرين والفلاسفة

أما بعد . فهذا رأيى أسوقه لوجه الحقيقة كما أعتقد . غير مبال سخط الناس أو رضوا ؟

تمت

محمد عماد العمري



نهاية ملك

للأستاذ محمود عماد

ومن بعد ، لاح بمصر البطل   وكان لها راصدا فى الأزل
ومصر تجس بطون الليالى   ترى أى بطن به قد حمل ؟
ويأخذها الحزن من عقمهن   وتستشمر اليأس بعد الأمل
ولكن كذاك يطول اصطبار الز   مان إذا رام صنع البطل
وأحسبه يقتضيه كثيرا   من الجهد حتى يراه اكتمل

***

لمن هذه الفلك ، قد ودعت   بنير الدموع وغير القبل ؟
وما من دعاء لها بالسلا   مة . شأن العزيز إذا ما رحل
تقول لى الشمس : هذا مليك   عن النخل فى الشط مثلى أفل
نغيب معاً ، غير أن مغيبى   إلى أجل ، وهو غفل الأجل
أجل كان هذا المليك من الشـ   ـعب ملء القلوب وملء المقل
هنيهة كان على العرش طفلا   قصير الذراع ، قصير الحيل
فلما استوى الهيثم الغض نسرا   قوى الجناح ، شديد العضل
تكشف عن عنصر عبقرى   إلى الشر فى كل وكر وصل

***

مضى ملك الغابة المستبد   يحل بها كل مالا يحل
يدان برئ ، ويعفى مسئ   وينصب مال ، ويخلى محل
ومن قاد جيش رجال يذل   ومن قاد سرب نساء يجل
ويعطى الجنود سلاحا يصيـ   ـبهمو ويبقى من عليهم يسل
ويلقى بهم للعدو طعاما   وبالنصر بعدهمو يحتفل
ويقصى البعول لأمر صغير   وتنشى البيوت لأمر جلل
ولو عاد بعل إلى البيت يقـ   ـتل ثم يثاب الذى قد قتل
وهل يعرف الوحش إلا الفسا   د وإلا السفاد إذا ما انتقل ؟

***

لقد غضب الشعب من بعد حلم   وثاب إلى رشده واعتدل
وحق على الدهر أن يخلق الـ   ـبطولة إن لم يكن قد فعل
فكانت لدى الجيش ترجى الجنو   د وترجى مدافعهم والأسل
وهاجت الظلم فى أوجه   وقد ريع من أمرها واندهل
وقالت له: انزل عن العرش وارحل   فقال : نزلت . وعنه ارتحل
وراحت تسلل من جانب العر   ش كل الأفاعى التى قد أظل
وتلدغ صاحبه من بعيد   وكم ضربت بهداه المثل !

***

فيا ملكا كان يأخذ كل الـ   ـسفائن غصباً ، وقالوا عدل
لقد أخذتك السفينة غصبا   وجنس الجزاء كجنس العمل
فسر عن بلاد أسأت إليها   أما كنت عنها تحب النقل ؟
وعم فوق بحرين ، بحر الورى   وآخر من مقلتيك انهمل
عسى تغسل الرجس أن كان من فى   قرارته الرجس منه اغتسل
وإما حللت غدا أرض قوم   سواك عليها الأعز الأجل
وناديت مصر فلم تستجب   وألقيت أمراً فلم يمتثل
ولم تبصر الشمس رأد الضحى   كما قيل ، كالشمس رأد الطفل
فظلك بدل أبراجها   وما كان يرجى لها من بدل

***

ويا نيل إن كنت من بعد هذا   ستترع كل فم قد نهل
سواء لديك طهور اللعا   ب ، ونجس وبئ يريق العلل
فلا وسعتك صدور الصحارى   ولا الغيث فى رافديك انهطل

محمود عماد

عرش هوى

للأستاذ محمود غنيم

تكلم أيها القدر المتاح   وللأقدار ألسنة فصاح
وحدث عن نهاية كل باغ   فإن حديثك الحق الصراح
بربك عظ جبابرة إذا ما   تراءى الواعظون لهم أشاحوا
ففى أحداثك الجلى عظات   لو اعتبر الطغاة بها استراحوا
أحقابات « رأس التين » حلا   تطوقه الكتائب والسلاح
ومن دون الوصول إليه كانت   رءوس فى الهواء بها يطاح ؟

أحقا أنكر «الفاروق» شعب ... عراه من المتاف له بجاح ؟
مغانى الملك بات على ذراها ... يرف لكل ناعبة جناح
وهام المالكون بكل أرض ... وتلك قصورهم بقيت وراحوا
قصور أوحشت من بعد أنس ... فما لسنا بساحتها لياح
وقد كانت يبارى النجم منها ... إذا جن الدجى غرف وساح
وكانت كعبة يغدى إليها ... بأفواج الرعية أو يراح
وكان حجيجها وفدا فوفدا ... تضيق بهم على سعة «صلاح» (١)
على عتباتها الهامات تحنى ... كما تحنى من الطعن الرماح
كأن ترابها مسك ذكى ... له فى أنف لاثمه نفاح
سلوا طير الغصون «بعابدين» ... أطال به على القصر النواح ؟
أم الأعراس فى الوادى شجته ... فكان له مع الوادى صداح ؟

***

سرير الملك قد أمسى خلاء ... وقد ذهبت بعاهله الرياح
لئن جزع السرير فرب شعب ... بمصر قد استخف به المراح
سياج الملك تدبير وعدل ... — لعمرك — لا مقامرة وراح
وحاشية تحف به ثقات ... لهم بالعلم والخلق اتشاح
لهم حزم وتجربة ونصح ... وأعراض نقيات صحاح
وليس العرش للحشرات ظلا ... ولا من جنده الغيد الملاح
ولن يبقى على الأيام ملك ... دم الأحرار فيه يستباح
ولا ملك تعبده هواه ... ولم يكبح لشهوته جماح
تظاهر بالصلاح لناظريه ... ومن أخلاقه برئ الصلاح
تساق إليه أموال الرعايا ... وتسلب باسمه الأرض البراح
أيخشى الفقر ذو عرش وتاج ... تدين له الروابى والبطاح ؟
وأقبح ما ترى عرش حريص ... وتاج لا يزينه السماح
ولن يرجى لشعب بات فيه ... ولاة الأمر تجاراً فلاح
إذا ما فاز بالدستور شعب ... فسل عنه أجد أم مزاح ؟
فما الدستور إلا عند قوم ... إذا جار الملوك عليه صاحوا
مضى الزمن الذى ما كان فيه ... على الأملاك إن ظلموا جناح
فلا ملك تناسل من «أمون» ... ولا عرش يباركه «فتاح»

***

حماة النيل أحرزتم لمصر ... نجاحا لا يعارعه نجاح
قد اجتحتم بثورتكم شرورا ... وما للشر إلا الاجتياح
تهللت العروبة يوم ثرتم ... كأن العرب أدركهم (صلاح (٢))
وما كالظلم للثورات زاد ... ولا مثل الفساد لها لقاح
وكيف يكافح الأعداء شعب ... وبين الشعب والعرش الكفاح ؟
معارك بالثبات كسبتموها ... ولم تطلق بساحتها قداح
ولا سالت على أرض دماء ... ولا احمرت من القلق الصفاح
بدأتم أمرها همسا فأمست ... على شفة الزمان بها يباح
شفيتم مصر من قرح قديم ... يعاف لأجله الماء القراح
ألا فاليوم كل عسير أمر ... يهون وكل إصلاح يتاح
إذا السرطان فارق قلب شاك ... فليس يضير ناجذه القلاح (٣)

***

حماة النيل من لعثار شعب ... إذا هو قام أقعده الكساح ؟
به مستوزرون إذا ولوه ... فما للشعب بل لهم الأرباح
تجار سياسة وهواة حكم ... بأحشاء الحمى منهم جراح
تولوا أمره حزبا فحزبا ... فأطلق للفساد به السراح
إذا استلموا زمام الأمر عاثوا ... وإن حرموا زمام الأمر ناحوا
يفرقهم على الحكم اختصام ... ويجمعهم على الحكم اصطلاح
دعوا أمر البلاد يليه قوم ... لهم ذمم مطهرة وراح
جياد إن دعوا للبذل لكن ... بأموال البلاد هم شحاح
إذا فاض الثراء بمصر غابوا ... وإن نزل البلاء بمصر لاحوا
خطونا الخطوة الأولى بمصر ... وتتلوها بمصر خطى فساح
وألغيت الفروق فلا وسام ... تزان به الصدور ولا وشاح
تعالى الله . صار لمصر وعى ... وآذن ليلها وبدا الصباح

محمود غنيم

(١) صلاح من أسماء مكة

(٢) صلاح الدين الأيوبي

(٣) القلاح مرض اصفرار الأسنان

حفنة رماد ..

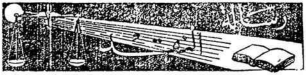
للأستاذ عبد اللطيف الشهابي

(.. الى الجذوة الخالدة ، الغافية تحت الرماد ! .)

لملمت أشلائى وأحرقتها
فى مجمر الأيام

وفى لهيب الروح طهرتها
من وصمة الآثام
تحت رماد الشوق أخفيتها
فى معبد الأحلام
وهذه الأطياف هدهدتها
على صدى الأوهام
فى اللذة الهوجاء لعنة شيطانى
فى الجذوة الحمراء ! ثورة نيرانى
جبلت كأسى فى رماد السنين
فى خمراً أتراحى
وفى دروبى ، فى كهوف الحنين
أطفأت مصباحى
وفى عذاب الضارع المستكين
نادمت أشباحى
لكننى . . على صخور اليقين
حطمت أقداحى
فى اللهب المجنون نثار أحلامى
فى الحمأ المسنون أغرقت آثامى

عبد اللطيف الشهابى



كتاب معجم ما استعجم
من أسماء البلاد والمواضع

تأليف : أبى عبيد البكرى الأندلسى

المتوفى سنة ٤٨٧ هـ

تحقيق الأستاذ مصطفى السقا المدرس فى الجامعة المصرية

للأستاذ حمد الجاسر

تم طبع هذا الكتاب القيم ، بصدور جزئه الرابع ، حاوياً لحرف «الكاف» وما بعدها من الحروف، وفيه فهارس لأسماء البلدان والمواضع ، والمياه والجبال ، وللأعلام عامة ، والقوافى ، تقع فى أكثر من مئتى صفحة . وضعها ورتبها الأستاذ السقا فزاد الكتاب قيمة علمية

وقد ألمنا — فى كلمة نشرتها هذه المجلة الكريمة عند صدور الجزء الثالث — إلماعة موجزة عن صعوبة نشر المؤلفات القديمة . وخاصة ما يتعلق بتحديد المواضع ، وأشرنا إلى ما بذله الأستاذ السقا من جهد فى سبيل تحقيق هذا الكتاب ، وصححنا بعض أغلاط وقعت فيه ، ويسرنا أن نرى الأستاذ قد أخذ بكثير من تصحيحنا حينما وضع فهرس الخطأ والصواب ، فى آخر الكتاب ، وإن نسب تصحيح تلك الأخطاء إلى المجلة التى نشرت التصحيح ، ولم ينسبه إلى كاتبه

وتقديرنا لما بذله الأستاذ من عناية فى التحقيق ، واعترافنا بفضله ، لا يحولان بيننا وبين الإشارة إلى شئ من ملاحظاتنا على هذا الجزء ، إشارة نقصد من ورائها الخير ، من إفادة القراء فى تصحيح بعض ما جاء فى هذا الجزء ، مما هو بحاجة إلى تصحيح الملاحظة الأولى :

يعنى بتحقيق النصوص ؛ الرجوع إلى مصادرها الأولى ، للتثبت من صحتها ، وللوثوق من مطابقتها لما فى تلك المصادر ، والأستاذ السقا — وإن رجع إلى كثير من الكتب التى ألفت فى تحديد المواضع وبيانها ، وإلى غيرها من الكتب اللغوية والأدبية ، إلا أنه قد فاته الرجوع إلى كثير من الكتب التى استقى البكرى مواد كتابه منها . وهذا أمر غريب جداً من أستاذ جامعى ، يدرس مناهج التحقيق العلمى ، ويؤلف فيه ، وينقد ويناقش البحوث والمؤلفات وفق قواعده . وها هى الأمثلة :

(١) فى صفحة ١٢٧٤ : (الهجم ... هو خزاز الجبل المتقدم ذكره ، قاله الهمدانى) كذا . فلنرجع إلى المصدر الأول — وهو الهمدانى — لننظر هل قال هذا القول ؟ للهمدانى — وهو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب المعروف بابن الحائك المتوفى فى سنة ٣٣٤ تقريباً — مؤلفات ، طبع منها « صفة جزيرة العرب » والجزء الثامن والعاشر من « الإكليل »

وقد عول البكرى على هذين الكتابين ونقل عنهما ، وأكثر النقل . ومما نقل عن (صفة جزيرة العرب) كلامه هذا فى تعريف المهجم ، ولكن النقل هنا مبتور ناقص ، كقراءة من يقرأ : (فويل للمصلين) ثم يقف . وها هو نص كلام الهمدانى : (ص ١٧١ طبعة ملر ، فى ليدن وهى الطبعة الوحيدة) : (ديار ربيعة ، من العروض ونجد : الذنائب ، وواردات ، وخزاز — ويقال فيه خزازى . وقد يرى قوم من الجهال أن ديار ربيعة بن نزار كانت من تهامة ، من سردد ، وبلد لعسان من عك ، وأن تبعاً أقطعهم هذه البلاد ، لما حالفوه ، وهذ من الأخبار المصنوعة لأن الملوك أجل من أن تحالف الرعايا ، وإنما بنوا هذا الخبر على وهم وهوى ، فقالوا فى المهجم وهى خزة : خزازى ، وفى الأنوم الأنعمين ، وفى الذنبات : الذنائب ، وفى العارضة : عورض) . اهـ ملخصا . وتتضح المسألة حينما نعلم أن المهجم واد فى تهامة ، يصب فى البحر ، قرب مدينة زبيد ، وأنه كان يطلق عليه اسم (خزة) ويقارب هذا الاسم (خزاز) وهو اسم لجبل فى نجد ، بينه وبين المهجم ، مفاوز وفياف ، ولهذا الجبل ذكر كثير فى أشعار العرب ، وله يوم من أيامهم المعروفة ، بين القحطانيين ، والمدنانيين ، وقد أورد البكرى شيئاً مما ورد فيه ، عند ذكر اسمه ، فلما عرف المهجم قال بأنه هو خزاز المتقدم ، ناقلا عن الهمدانى ، بل ناسبا القول إليه . اعتمادا على الكلام الذى نقلناه آنفا ، والذى قال عنه الهمدانى إنه مبنى على وهم وهوى ، وبهذا النقل المبتور الناقص اختل المعنى ، وانعكس القصد

(٢) وفى صفحة ١١٧١ — نقل عن الهمدانى أيضا — يتعلق بمأرب ، جله مأخوذ من الجزء الثامن من كتاب (الإكليل) وهذا الجزء مطبوع مرتين ؛ مرة فى العراق ، والأخرى فى أمريكا ، ولكن الأستاذ السقا لم يرجع إلى هذا الجزء لكى يحقق النص

٣ — لعرام بن الأصبغ السلمى الأعرابى رسالة عن « تهامة وسكانها ، وما فيها من القرى والمياه » وقد نقل البكرى جل هذه الرسالة ، فى مواضع متفرقة من كتابه هذا ، وصرح بالنقل منها فى مقدمة الكتاب ، وفى الكلام على « رضوى » وقد نشر هذه الرسالة العلامة المحقق الشيخ عبد العزيز الميمنى الهندى ، عضو « المجمع العلمى العربى » فى « أورنتيل كوليج مجازين Oeintal College Magazeine التى تصدر فى « لاهور ، الباكستان » منذ بضع سنوات ، وكان خليقاً بالأستاذ السقا الرجوع إلى هذه الرسالة ، لتحقيق النقول الكثيرة التى نقلها البكرى منها ، وقد يكون للأستاذ العذر فى عدم اطلاعه عليها ، ولكن ياقوت الحموى ، نقل جلها فى « معجم البلدان » والسيد السمهودى مؤرخ المدينة نقل كثيرا منها فى « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » و « المعجم » و « وفاء الوفا » مطبوعان ولا غنية لمن يقوم بتحقيق مؤلف فى تحديد مواضع بلاد العرب وأمكنتها عن الرجوع إليهما ، وإلى أمثالهما . وعدم تحقيق ما نقل البكرى من هذه الرسالة سبب كثيرا من الخلط فى تحديد المواضع ، ومن الغلط فى تلك النقول ، ومن أمثلة ذلك ما جاء فى صفحة ١٣٧٧ : (ورقان بفتح أوله وكسر ثانيه ، بعده قاف ، على وزن فعلان ؛ وهو من جبال تهامة ، ومن صدر مصعدا من مكة فأول جبل يلقاه ورقان) . وهذا غلط شنيع ، فورقان جبل لا يزال معروفاً باسمه هـذا وهو بعيد عن مكة ، وليس بأول الجبال التى يلقاها المصعد منها ، بل كل الجبال الواقعة بين مكة والمدينة هى إلى مكة أقرب منه إليها . والبكرى نقل الكلام هذا من رسالة عرام ، إلا أنه أبدل كلمة « المدينة » بكلمة « مكة » فورقان بقرب المدينة . وجاء فى هذه الصفحة : (وأهل الحجاز يسمون السماق الضمخ ، وأهل الجند يسمونه (العرتن) . والأستاذ السقا يعلم أنه ليس لأهل الجند لغة تقارن بلغة أهل الحجاز ، وأن الصواب : (وأهل نجد) كما فى رسالة عرام ، طبعة الميمنى ص ٢٧٥ من المجلة ، وعلى ذكر اللغة نرى الإشارة إلى أن قول الأستاذ السقا (ص ١٢٧١) أنطى ؛ بمعنى أعطى ، فى لغة اليمن . فيه تساهل ؛ إذ من المعروف أن هذه اللهجة لا يختص بها اليمنيون ، بل يشاركهم فيها بعض المدنانيين ، من قيس عيلان وغيرهم ، ورباح بن الأشل الذى فسر الأستاذ كلامه غنوى من قيس عيلان ، فما معنى حصر تلك اللهجة بأهل اليمن ؟

٤ — وفى ص ١٣٥٢ : (تأتى من شمنصير وذروة ... وبأعلى كلية ثلاثة أجبال صنار ، منفردات من الجبال ، يقال لها سنابك) . ولو رجع الأستاذ إلى رسالة عرام ، أو إلى الناقلين

منها غير البكرى . لوجد أن كامتى (ذروة) و (سنابك) مما تصحف على البكرى ، وأن صوابهما (ذرة) و (شنائك)

اللاحظة الثانية

يرى القارئ فى مقدمتى الجزء الأول ، والرابع فى هذا الكتاب ، تقليلا من قيمة مطبوعة المستشرق وستنفلد ، وثناء على هذه المطبوعة ، مطبوعة الأستاذ السقا ، ومن ذلك ، من مقدمة الجزء الرابع : (أرجو أن يكون من ورائها تصحيح لكثير من الأخطاء التى وقعت فى تلك الطبعة .. فهرس هذه الطبعة يمتاز بالتقصى الدقيق ، الذى لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ... فهرس الأعلام يمتاز بالاستيعاب والاستقصاء كسابقه ، وبأنه لا نظير له فى طبعة جونتجن ... فهرس القوافى ليس له نظير فى طبعة جونتجن كذلك ، ويمتاز بشموله فى دقة كاملة ... أما ما وقع من المؤلف من خطأ ، وكذلك ما وقع فى مطبوعة جونتجن فقد أصلحته ، ونبهت عليه)

للأستاذ السقا أن يصف عمله بالإتقان والجودة ، والشمول والإحاطة ، فهو جدير بذلك ، ولكن الاستنقاص ليس من صفات المنصفين ، ومطبوعة جونتجن هى أول مطبوعة من هذا الكتاب انتفع بها الباحثون ، وهى على ما فيها من أخطاء — قل أن يسلم من مثلها مطبوع عربى — على درجة عظيمة من الصحة ، وطابعها معروف بسعة اطلاعه ، وتحريه للصواب ، ولو لم يكن من فضله إلا تمهيد السبيل للأستاذ السقا ، لكفى سببا لعدم النيل من عمله ، إن لم يوجب الثناء عليه ، ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن كثيرا مما ظنه الأستاذ السقا خطأ فى طبعة جونتجن هو الصواب بعينه ، وقد ذكرنا شيئا من ذلك فى نقدنا للجزئين الأولين ، الذى نشرناه ، واعتمد عليه الأستاذ فى تصحيح الأخطاء ، ومن الأمثلة ، مما فى هذا الجزء :

(١) ص ١٣٣٣ : (وتجتمع سيول العقيق وبطحان وقناة بالرعابة) وقال الأستاذ فى الحاشية : فى طبعة جونتجن (الزغابة) وقال : إنه تصحيف . والتصحيف هو ما اختاره الأستاذ ، إذ مجتمع سيول تلك الأودية : (الزغابة) بالزاى المضمومة ، فغين معجمة ، فألف ، فباء موحدة فهاء (انظر هذه المادة من « وفاء الوفا ج ٢ » (معاجم اللغة والمواضع)

(٢) ص ١١٥٠ : (ضم القنان لفقعس سوآتها) والصواب ما فى طبعة جونتجن : (ضمن) — راجع مادة « القنان » من « معجم البلدان »

(٣) وفى ص ١١٤٤ : (ديار سعد بن هذيم) . وقال السقا: ابن ساقطة من طبعة جونتجن والصواب سقوطها ، لأن سعدا هذا حضنه عبد حبشى يقال له هذيم ، فغلب عليه فقيل : سعد هذيم ، وليس هذيم أبا لسعد . (انظر المقتضب من جمهرة النسب « ورقة ١٠٥ / ١ مخطوطة دار الكتب المصرية)

(٤) وفى ص ١٢٢٧ : (المسلح : بكسر أوله ... منزل على أربعة أميال من مكة) . وفى طبعة جونتجن : (أيام) مكان : (أميال) وهى الصواب ؛ قال الهمدانى — فى « صفة جزيرة العرب » ص ١٨٥ — : ومن أخذ الجادة من مكة إلى معدن النقرة ، فمن مكة إلى البستان ٢٥ ميلا ، ومنه إلى ذات عرق ٢٤ ميلا ، ومنها إلى الغمرة ٢٠ ميلا ، ومنها إلى المسلح ١٧ ميلا) . ا . هـ ملخصا . وهذا من أدق التحديد ، فى بعد هذا الموضع عن مكة ، ومن أوضح الأدلة على أن المسافة بينها وبينه أربع (ليال) لا (أميال)

(٥) وفى ص ١٢٧١ : (منعج : بفتح أوله ، وإسكان ثانيه ، بعده عين مهملة مكسورة ، وجيم معجمة) وكلمة (معجمة) لا محل لها . إذ كلمة (الجيم) لا مشابه لها من الحروف فى صورتها . لكى تميز بالإعجام ، وهى ساقطة من طبعة جونتجن

(٦) وفى ص ١٣٨٥ : (الحضرمى : هو عبد الله بن عماد ابن سليمان) وفى مطبوعة جونتجن (سلمى) ولعلها أصوب . إذ هذا الاسم هو المعروف بين العرب الجاهليين . بخلاف سليمان . فهو وإن اشتهر بين أهل المدن فى العهد الجاهلى ، قليل بين البدو (وانظر ترجمة « العلاء بن الحضرمى » فى الأعلام للزركلى) ولعل فى هذا القدر كفاية

البقية فى العدد القادم

حمد الجاسر

البريد الأدبي

حول « علم النبي بالغيب »

نشرت الرسالة الغراء في العدد (٩٩٨) مقالا للأستاذ ناصر سعد عن علم النبي بالغيب ، ونحن نحمد له جهده الموفق في إيراد تلك الحوادث التي جعل منها شواهد على رأيه ، ولكننا لسنا معه في أن النبي ولا غيره يعلم شيئا من الغيب عن طريق العقل أو الروح كسبا نفسيا تتجلى فيه شخصيته ، وتبرز عنه إنسانيته ، فالقرآن الكريم أثبته لله ونفاه عن غيره في قوله « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً » وعلى لسان النبي في القرآن أيضا « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء » و« قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب » وغيرها وغيرها ، واخبار الرسول بهذه المغيبات، إنما هو بوحى يوحى إليه ، وليس لنا أن نقول كما قال الأستاذ « إنها بقوة إلهية » حتى نحصر مسائل الغيب على التوقيف من الله ، والرسول بشر يوحى إليه ، فما ينطق عن الهوى، والقوة البشرية كائنة ما كانت، لا تطول أن تخلص إلى الغيب إلا بإظهار الله ، وهذا هو الذى يتساوق مع منطق العقل، مضافا إلى ذلك ضآلة كل ماسوى الله بجانب العلم الإلهى ، أما قراءة الأفكار فهى من باب الحدس الذى يعتمد على قوة النفس ، وشدة الفراسة ، وحدة الذكاء ، وحسن الاستدلال ببعض المظاهر الانفعالية على أشياء قد يخطىء الحدس فيها ويصيب ، فلا ترقى بحال من الأحوال أن تكون علما بما جد أو يجد من أحداث . أقول لا ترقى إلى أن تكون علما مباشراً للحقائق الخفية عن حواسنا الظاهرة والباطنة، ويقال عن عالم الأرواح هذا أو قريب منه ، ولتقريب ما أذهب إليه إلى الذهن أورد فقرات من حديث العلامة المرحوم السيد رشيد رضا في كتابه (الوحى المحمدى) قال : « الغيب ما غاب علمه عن الناس ، وهو قسمان « غيب حقيقى » لا يعلمه إلا الله ، و « غيب إضافى » يعلمه بعض الخلق دون بعض لأسباب تختلف باختلاف الاستعداد الفطرى والعمل الكسبى ، ومن أظهره الله على بعض الغيب الحقيقى من رسله ، فليس لهم فى ذلك كسب ، لأنه من خصائص النبوة غير المكتسبة» من هذا يتضح أن الرسول لا يعلم الغيب، وإنما يظهره الله عليه فى بعض المسائل تصديقا له، وعونا على أداء رسالته وذلك يلتقى مع المعجزة فى غرض واحد ، هو ما رأيت ، فلو كان يستشف ما وراء الغيب من نفسه لأمكنه أن يتوقى ما حدث له من إيذاء ، ، وما خطر فى سبيله من أهوال ، ولجانب المصاعب فى سبيل رسالته ، ولكنه ككل بشر تعرض لما يتعرض له كل كائن حى ، فلم يدن بنبوته إلى مقام الألوهية ، ولطالما حدث عن نفسه بهذا وأشباهه ، حتى لا يفتن الناس عن دينهم ، وما يرمى إليه من إصلاح واعتدال ، وقد يقول قائل : أى خطر على الأمة مما تخوض فيه اليوم حتى ولو وصل إلى درجة المعتقدات ؟ للناس أن يعتقدوا ما يشاءون فلا ضير على العامة من أى اعتقاد شخصى فى مسألة كهذه ، وأنا أقول : إن الذى دفعنى إلى هذا الاعتراض خوفى الشديد من أناس يحترفون علم الغيب ، ويصطنعونه أداة من أدوات العيش ، يثرون من طريقه ، ويتمتعون من أجله بقدسية وكرامة، فى محيط العوام الذين يرتمون على أقدامهم ، يستجلونهم المستقبل الغامض ، ويستمطرون سحائبهم الجهام ، وإن هؤلاء ليتمثلون فى (أرباب الطرق) أو بعضهم ، و (أهل الكشف) و (ضاربات الرمل) ومن لا صلة لهم بدين ولا دنيا ، وهم كثير، نعانى منهم الويلات ، وهم شر مستطير بما يدعون إليه من تبطل ، وما ينشرونه من فساد ، فأحرينا أن نأخذ على أيديهم ونشنها عليهم حربا عوانا ، ونبين لهم فى وضوح وجلاء أن الغيب محجوب عن النبيين ، فكيف بهؤلاء الصعاليك الفاليك الذين لا يدفعون عن أنفسهم ضرا ، ولا يرجون لها وقاراً ، والدين الإسلامى دين بساطة ووضوح ، لا تعقيد فيه ، وهو يهدف إلى استقامة أمور الناس ، وليس من المصلحة فى دين ولا دنيا أن يعلم أحد الغيب من دون الله ، لئلا ينقلب العالم إلى مهزلة ، تخضع للمؤثرات البشرية المتباينة ، والتيارات العاطفية المتخالفة ، ولئلا يتحكم الناس بعضهم فى مصائر بعض ، وليترك الأمر لله ، يستأثر بعلمه ، لتنظيم ملكه على أسس صالحة ، من العلم والحكمة والتدبير؛ فهو وحده الذى يمسك السموات والأرض ، والكل بجانب عدله الإلهى سواء، فإن أظهر على غيبه أحداً من خلقه، فإنما لتتم حكمته ، ويكمل نظامه ، ويتسق أمره « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا

إلامن ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عدداً » . . فى مقال الأستاذ ناصر متعة شائقة ، ولكن عظمة النبى فى أغنى الغنى عن ادعاء علم الغيب له، وبحسب الباحث ليلمس عظمته ويدل عليها ، وأن ينهل من معين آيات الله ، ويرشف كؤوس السنة النبوية المطهرة فيها حافلان بآيات الآيات فى الدلالة على الفضائل والهداية إلى مكارم الأخلاق ، التراث الخالد الذى ورثناه عن صفى الله وخاتم أنبيائه الذى أوحى إليه فيما أوحى : وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ؟

محمد محمد الأبشيهى
مدرس ببنها الثانوية

علم النبي بالغيب أيضا

طالعت فى « الرسالة » الغراء المقال الذى كتبه تحت هذا العنوان حضرة الأستاذ ناصر سعد ، من أدباء العراق ، وتمشيا على ما ذكره الكاتب الفاضل أروى القصة التى أشار إليها القرآن الكريم ، فى الآية الشريفة : « وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض ، فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير » — سورة التحريم — فقد روى عن النبى — صلوات الله عليه وسلامه — أن زوجته « حفصة » قدمت له شرابا من العسل ، فاتفقت زوجتاه « صفية » و « وسودة » على أن تقولا له إننا نشم منه رائحة « المغافير » وهى لون من ألوان الصموغ المحلاة . فحرم النبى على نفسه العسل ، وأسر إلى زوجه « حفصه » بذلك فلم تكتم « حفصة » حديث النبى الكريم ، ونزلت الآية تعتب على الزوجتين فعلتهما …

ومن هذا يتضح أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يلم ببعض الإلمام بالغيب . .

وفى موضع آخر من القرآن الكريم ، تنطق الآيات بلسان النبى الأمين فتقول : « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء » … وهذه الآية تنفى علم النبى بالغيب ، وليس بغريب أن يطلع الله سبحانه وتعالى نبيه على الغيب ، وهو الذى أغدق عليه نعمه وفضله ، واصطفاه لرسالته العليا ، واختاره ليحمل مشاعل النور والإيمان … فكان فضل الله عليه كبيرا …

سلام عليك أيها النبى الكريم ورحمة الله وبركاته …

عيسى متولى

تصحيح ورفع شبهة :

جاء فى مقال لى نشر فى العدد الماضى من مجلة الثقافة الغراء ردا على مقال نقدى تناول مجموعى الشعرية « رياح وشموع » جملة « وأنا كشاعر كبير لا أرضى أن أعيش على فتات الماضى » والجملة فى الأصل « وأنا كشاعر مجدد لا أرضى أن .. الخ »

ولست أدرى كيف غيرت هذه الجملة بحيث خرجت إلى معنى كله غرور وادعاء أنا بعيد عنهما كل البعد فلعلها إحدى غلطات المطبعة …

إن طريق الشعر وعر طويل … والمجد الأدبى وليد دراسة.. وكفاح وصبر ، وأنا ما زلت فى أول الطريق

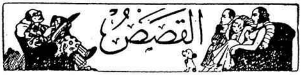
كمال نشأت

فى روضات الجنات

فى يوم الأحد ١٩ من ذى القعدة سنة ١٣٧١ توفى العالم الجليل الشيخ محمد زاهد الكوثرى. ولد بتركيا سنة ١٢٩٦ ودرس فى المدارس الرشدية ثم فى أكبر المعاهد الدينية هناك، إلى أن حذق علوم الشريعة فاختير استاذاً فى جامع الفاتح وجامعة اصطنبول ومعهد التخصص ثم انتقل لمصر وأقام بها وألف كتبا كثيرة وحقق كثيراً من المخطوطات وعلق عليها ، ونشر مائة مقالة ونيفا فى مختلف البحوث . وكان جزءاً ضخما من الثروة الإسلامية ، جمع إلى العلم سمو العالم ، وكان نسيج وحده فى الوفاء والمروءة والصراحة والإباء ، لا يلاين فى الحق ولا يضعف فى دفع الباطل.

وقد دفن فى مدفن الشيخ ابراهيم سليم فى شارع رضوان بقرافة الإمام . تغمده الله برحمته وجزاه عن الإسلام خيراً ؟

محمد شفيق



وتفضلوا بقبول احترامى

للقصصى الروسى سالتيكوف

كانا فى وقت ما يشغلان منصبين من مناصب الحكومة وكان كلاهما فارغ الرأس . ومن أجل ذلك وعلى غرة منهما وجدا نفسيهما « يشحنان » إلى جزيرة غير مأهولة كأنما بنقلهما إليها بساط سليمان

وكانا قد قضيا عمريهما فى ديوان حكومى نشآ فيه وتربيا وشابا ؛ وكأنما قد ولدا به أيضا . وهما من أجل ذلك لا يعرفان أى شئ لا يتصل بأعمالها ، وكل الذى يعرفانه ينحصر فى الصيغ الديوانية المألوفة التى تنتهى بهذه الجملة « وتفضلوا بقبول احترامى »

لكن هذا الديوان ألغى وأقالتهما الحكومة فهاجرا ، بعد أن أطلق سراحيهما، إلى شارع بوديتشسكايا فى بطرسبورج، وكان لكل منهما فيه منزله وطاهيه ومعاشه

ولما استيقظا من النوم فى الجزيرة التى « شحنا » إليها ، وجدا نفسيهما نائمين تحت لحاف واحد . ولم يفهما بالطبع فى البداية ماذا أصابهما ؛ فأخذا يتكلمان كما لو كان الأمر بينهما يجرى على عادته

قال أحدهما : « ما أغرب الحلم الذى رأيته ليلة الأمس ياصاحب السعادة ! لقد رأيت فى الحلم أنى نقلت إلى جزيرة غير مأهولة »

لكنه ما كاد ينطق بهذه الكلمات حتى وثب من مكانه ووثب الموظف الآخر أيضا ، وقال فى دهشة شديدة : « ولكن أين نحن الآن ؟ وهل كان ما رأيناه حلما ؟ »

ولمس كل منهما الآخر ليستوثق هل هو فى حلم أم يقظة . وكان أمامهما المحيط ، ووراءهما متسع قليل من الأرض خلفه المحيط أيضا ، فبكيا لأول مرة بعد أن ألغى ديوانهما

ونظر كلاهما إلى الآخر فرآه لا يرتدى إلا قميص النوم وقد علقت فى جيده صفيحة عليها رقم . وقال أحدهما : « الآن موعد تناول القهوة، ولكن من لنا بها الآن؟ » ثم عاد إلى البكاء وقال : « ما الذى نفعله يا صاحب السعادة ؟ إننا لو كتبنا تقريرا فكيف نبعث به ؟ »

فأجابه الموظف الآخر : « سأخبرك بالذى يجب أن نفعله يا صاحب السعادة : أنا أذهب شرقا وأنت تذهب غربا ، ثم نعود إلى الاجتماع هنا ، وإذا اهتدى أحدنا إلى رأى تشاورنا فيه »

وهنا اختلفا فى تعرف الشرق والغرب وتذكرا قول رئيس الديوان :

« إذا أردت أن تعرف الشرق فاجعل الشمال أمامك ، فالذى على يمينك عند ذلك هو الشرق » ، ولكنهما لما أرادا أن يعرفا أين هو الشمال اتجها نحو كل الجهات دون أن يهتديا إليه . ولأنهما قضيا كل حياتهما فى دار المحفوظات ؛ فقد ذهب مجهودهما هذا عبثا

وقال أحدهما : « أرى يا صاحب السعادة أن يذهب أحدنا إلى اليسار والآخر إلى اليمين »

وكان هذا الموظف قد اشتغل فضلا عن عمله فى دار المحفوظات بتدريس علم الخط وقتا ما ؛ فهو لذلك أذكى قليلا من صاحبه

وكان كما اقترح . أما الموظف الذى ذهب إلى اليمين فوجد أشجارا تحمل كل أنواع الفاكهة ؛ وكان بوده لو يستطيع تناول تفاحة ، ولكن الثمر كان شديد العلو فلا يستطيع الحصول عليه إلا إذا تسلق الشجر . وقد حاول أن يتسلق إحداها ، ولكن ذهبت محاولته سدى . وكل الذى نجح فيه أنه مزق قميص نومه

وألقى نظرة على الماء فرآه ممتلئا بالسمك ، فتمنى لو أن كل ما فيه من السمك معروض للبيع بشارع بودشسكايا . ولما مر هذا الخاطر بذهنه جرى لعابه ، ومشى فى الغابة ، فرأى كل أنواع الطيور والأرانب والغزلان فقال :

« يارب ما أكثر رزقك وما أقل قدرتنا على الحصول عليه ! »

واشتدت عليه وطأة الجوع . وعاد إلى المكان الذى اتفق مع صاحبه على لقائه فيه فوجده فى انتظاره

قال: « هذا وجدت يا صاحب السعادة ؟ » فأجابه صاحبه : « لم أجد غير عدد قديم من جريدة الوقائع الرسمية »: فأخذ يحدثه عما وجده هو . وجلس الموظفان ، ثم حاول كل منهما أن ينام ولكن خلو معدتيهما من الطعام سبب لهما أرقاً شديداً . وكان من أسباب الأرق أيضا تفكيرهما في المعاش المرتب لكل منهما، وفيمن يتقاضاه عنهما الآن فيتمتع به دونهما. وكان من أسباب الأرق فضلا عن ذلك تفكيرهما فيما بالجزيرة من سمك وسماني وأرانب وفاكهة. وأن ليس في مقدورهما الحصول على شيء منها .

قال أحد الموظفين: لا أعرف كيف نعيش هنا ؟ إننا حتى لو استطعنا الحصول على طائر فكيف نذبحه وننظفه ونطبخه ؟ كيف يحدث كل ذلك ؟

فأجابه الآخر : « إنني في الحـــق لا أفهم كيف يحدث كل ذلك »

ثم عادا إلى الصمت وحاولا أن يناما ، ولكن قبل أن تنغمض عيونهما مر سرب من السماني فتخيلاه وهو مقلي على الأطباق . وقال أحد الموظفين : « لقد هممت من شدة الجوع أن آكل حذائي » فأجابه الآخر : إنني سأمتص جوربي »

ونظر كل منهما إلى الآخر نظرة شر كأن نفسه تحدثه بأن يأكل صاحبه ؟ ثم صرخ كل منهما صرخة جنونية كأنها عواء الذئب . وقال الموظف الذي اشتغل مرة بالتدريس : أظننا لن ننتظر حتى يحاول أحدنا أن يأكل الآخر » فأجابه : « وكيف نفعل ؟ إننا بلا ريب سنلاقي الموت؛ فما رأيك يا صاحب السعادة؟»

قال يجب أن نقطع الوقت بالمحادثة ، وإلا فإن واحداً منا سيأكل الآخر لا محالة » فأجابه الموظف الآخر : « ولكن ماذا نقول ؟ إبتدئ أنت »

قال الموظف الذي كان مدرسا : « قل لي لماذا تشرق الشمس أولا ثم تغرب ؟ ولماذا لا يكون العكس ؟ » فأجابه الآخر :«هذا سؤال مضحك يا صاحب السعادة . إن الشمس تشرق لكي نستيقظ ويذهب كل منا إلى الديوان ، ثم تغرب لكي ننام »

قال : « ولكن لماذا لا تفترض العكس فنذهب عند شروق الشمس إلى الفراش فننام ونحلم ، وعندما تغرب الشمس . . . » فقاطعه الآخر قائلا : « إن هذا القول لا يستقيم مع التفكير ، لأن شروق الشمس يحمل الإنسان على الاستعداد للذهاب ، كما أن غروبها يحمل الإنسان على طلب العشاء »

وقد أفسدت كلمة العشاء المحادثة لأنها هاجت جنون الموظفين الجائعين ، فقال أحدهما : « إن أحد الأطباء قال لي إن الإنسان يستطيع أن يعيش مدة ما بما في جسمه من سوائل . فقال الآخر : « لا أفهم ماذا تعنيه »

قال : « هذا يعني أن في الجسم أنواعا مختلفة من السوائل ، وأن بعضها يتحول إلى بعض حتى تصير إلى الخلاصة الغذائية » فقال الآخر : « وماذا يحدث بعد هذا ؟ »

قال : « يحتاج الإنسان في النهاية إلى طعام جديد ليتحول إلى الأنواع المختلفة من تلك السوائل » فقال : « إذن فالعبرة كلها بالطعام ! لعنة الله على الطعام ! »

وأدرك الموظفان أن هـذا النوع من الحديث لا يؤدي إلى الغرض الذي يقصدان إليه ، بل هو يزيد من شهوتيهما فقررا أن يتركا الحديث ؛ فلما طال بهما الصمت تذكر أحدهما الوقائع الرسمية فتناولها ليقرأ فيها لصاحبه . ولكن انتهت الفقرة الأولى — وهي خبر وليمة رسمية — إلى ذكر أنواع الطعام ، فأخذ الآخر منه الجريدة ليقرأ خبراً آخر . وأخذ يقرأ ، ولكن الخبر — وهو استكشاف جديد — قد انتهى بإقامة حفلة تكريم ، وتناول أيضاً ذكر الطعام

ودفع بالجريدة إلى صاحبه فقرأ فيها فقرة لا تتعلق بدايتها بالطعام ، ولكنها انتهت إلى ذكره أيضا . فأطرق كلا الرجلين وتثاءبا تثاؤبا مؤلما

ثم برقت عينا صاحب السعادة إذ خطر بباله خاطر سعيد . ووقف فجأة ليعلن استكشافه وصاح : « ماذا تقول ؟ لقد عرفت السبيل إلى النجاة ، فماذا تقول إذا أتينا بخادم ؟ »

فصاح الآخر : « وكيف نأتي بخادم يا صاحب السعادة ؟ وأي صنف من الخدم نجده هنا ؟ »

فقال : « خادم بسيط كسائر الخدم يستطيع أن يعد لنا الطعام وأن يصيد السماني والسمك ويطبخهما »

قال : « هذا حسن ولكن كيف نجده ؟ » فقال : « لماذا ؟ إن الخدم موجودون في كل مكان . إننا نقوم فنبحث حتى نجد واحداً منهم . ولا بد أن يكون هنا خادم على الأقل »

اطمأن الموظفان إلى هذه الفكرة . وقام كل منهما ليبحث

عن خادم ، وطالت مدة بحثهما ، ولكنها لم تذهب سدى ، فقد وجدا فى النهاية رجلا أسود اللحية على جسمه ثوب من جلد الماعز وهو نائم تحت شجرة كبيرة ، فلكزه صاحب السعادة وصاح : « كيف تنام هنا ونحن موظفان نكاد نموت من الجوع قم ! »

فنهض الخادم ونظر إلى الموظفين وكان أول ما هم به أن يفر ولكنهما أمسكا بتلابيبه فاستسلم المسكين للقدر المقدر عليه ، وصدع بالأمر وتسلق شجرة تفاح فجمع للسيدين الجديدين خير ما فيها ، وقطف تفاحة توشك على الفساد فجعلها لنفسه . ثم نزل عن الشجرة ، فجمع مقدارا من البطاطس وأوقد النار بضربة حجرين فى وسط هشيم وطبخ البطاطس ؛ وفى أثناء ذلك صاد أرنبا فأضافها إلى الطعام ، وصاد كذلك زوجا من السمانى ؛ فأدرك الموظفان مقدار ما لقياه من السعادة بقرب هذا الخادم . ونسيا أنهما كادا يموتان من الجوع منذ قليل . وقال كل منهما للآخر « ما أسعد حياة الموظف ! »

وقال لهما الخادم : « هل أنتما مسروران ؟ » فقالا : « نعم ونحن نقدر خدماتك »

قال : « فهل تسمحان لى الآن بأن أستريح ؟ فقالا : « نعم على شرط أن تأتى لنا بحبل أولا » فذهب وجمع أليافا طويلة ولم يزل يفتلها حتى صنع منها حبلا طويلا متينا فسلمه إليهما واستأذن فى السماح له بالراحة فقيداه بالحبل وأذنا له بأن ينام فى ظل الشجرة المجاورة

وزاد حذق الخادم فى تهيئة الطعام فزاد الموظفان بدانة وصحة. وقال أحدهما للآخر وهما يتناولان طعام الإفطار : « ما رأيك يا صاحب السعادة ؟ هل تعتقد أن قصة برج بابل قصة رمزية أم قصة واقعية ؟ »

فقال : «إنها بلا شك قصة واقعية، والدليل على ذلك كثرة ما فى العالم من اللغات . وإلا فكيف تنشأ اللغات لولا تبلبل الألسن ؟ »

قال الآخر : « وهل تعتقد أن قصة الطوفان صحيحة ؟ »فقال صاحب السعادة : » نعم بغير شك . ودليلها وجود أنواع كثيرة من الحيوان » وتناول عدد الوقائع الرسمية فأخذيقرؤه للمرة العاشرة من أوله إلى النهاية

لكن السأم دب إلى نفسيهما، فقد كانا يذكران ثيابهما الرسمية ومعاشهما وطاهيهما فى بطرسبورج فتذرف عيونهما الدمع

وقال أحدهما : لا أعرف كيف شارع بودشسكايا الآن يا صاحب السعادة . فقال : لا تذكرنى به فقد كاد يقتلنى الحنين إلى الوطن

قال الآخر : « إن الحياة هنا لذيذة لا عيب فيها ، ولكن الحمل يتوق إلى ثدى أمه ، ونحن نتوق إلى رؤية بلدنا وإلى ارتداء ثيابنا الرسمية فى يوم قبض المعاشات على الأقل

قال صاحب السعادة : « إن الملابس الرسمية حتى ولو كانت من الدرجة الرابعة تسر الإنسان وتنسيه متاعبه

واستدعى الموظفان الخادم ليشير عليهما برأى لكى يعودا إلى شارع بوتشسكايا

فصنع لهما من أشجار الغابة سفينة لم تكن كسائر السفن ، ولكنها مجرد أخشاب مربوطة بعضها إلى بعض ، وصنع لنفسه مجدافين ليتولى بمفرده تسيير السفينة

وبدأت الرحلة ، فكانا يلعنانه ويلقبانه بأقبح الألقاب كلما ظنا أن حياة اثنين من الموظفين ستتعرض للخطر فى سفينة هذا الخادم

وكان البليدان لا يعملان شيئا فى السفينة ، فنهض الخادم مع انفراده بالتجديف يهيئ لهما الطعام مما يصيده من السمك ويشويه حتى بلغت السفينة النهر

وما كان أسعدهما عندما انتقلت السفينة من بحر البلطيق إلى نهر النيفا . ودخلت السفينة قناة كترينا وهما لا يزالان بها ، ولم يخطر ببالهما أن يقطعا بقية المسافة مشيا على الأقدام . وفى النهاية وصلا إلى العاصمة

كانت سعادتهما سعادة بالغة عندما نزلا من السفينة فجلسا على أقرب مقهى من الشاطئ يشربان القهوة . وفى اليوم التالى لبسا الثوب الرسمى وذهبا لقبض المتجمد من المعاش . ولست أستطيع الإخبار عن مقدر هذا المعاش ولكنهما لم ينسيا الخادم ، فقد أهديا إليه زجاجة من الويسكى وخمسةقروش صحيحة.. تمتع ياخادم

مطبعة الرسالة